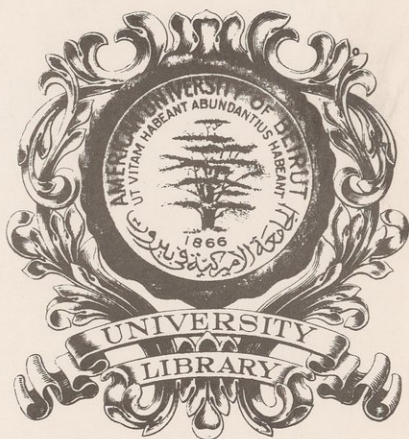


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. U. B. LIBRA

قصير الجمل

دُرَّةُ الْأَكْرَادِ

أَسَاطِيرُ الْفَنِّ

منشورات دار المكي شوف

الى مؤلف ادباء العرب و الشراء الفرس
وغيره من المؤلفات الرحيمة
استاذ طلبة البستاني من صدق
عليه محمد

٥٠ ازار ١٩٤٦

قصص الجليل

759.4

D332jA

دُة الأكر

إِسَاتِيذَةُ الْفَنِّ

مَنْشُورَات دَارِ الْمَكِشُوفِ

طبع من هذا الكتاب ١٢٥٠ نسخة .

الطبعة الاولى ، ١٩٤٥

جميع الحقوق محفوظة

توطئة

أزيد القارىء معرفةً بالجميل ، وليس بين ذوي النور في لبنان وحول لبنان من لا يذكر الشيخ كلما انسجمت ألوانٌ بألوان ، وكلما تجلّت بالجمال الوجوهُ ومالت بالاناقة قدودُ الملاح ، وكلما اطلت من قرانا المعلقة لأولوة كالقصرية ترصّع بالبركات اعناق الجبال . . .

ام احدثت عن فنه ، ولعصة محظوظة ، انا منها ، ان تشهد كل يوم في محترفه الحصب ولادةً عبقريةً لمولود جديد ، من ابي العلاء ، الى بيهوفن ، الى وجه المسيح ، او لمشهد من حالات لبنان المتعددة الالوان ، والاشكال ، والابعاد ، تشرحها ريشته الموهوبة بالطريقة التي تتذوقها نفس الانسان ، فنرى فيها اكثر واجمل واعمق مما نرى في الاصل ، دون ان نبتعد عن ذلك الاصل الذي احببناه . . .
وكم ندلج الى تلك الزاوية العالية للتمتع بوجه جذاب ، او غير وجهه ، وعند قيصر من ذلك الشيء الكثير . . .

ام اتكلم عن شخصيته ، وهو الذي علّم الكثيرين ، قبل مزج الانوار بالاطلال ، مزج النبيل بالتواضع ، والعلم الصحيح بالفن الخالص ، والثقافة العميقة بظرف المشيخة التقليدي . . .

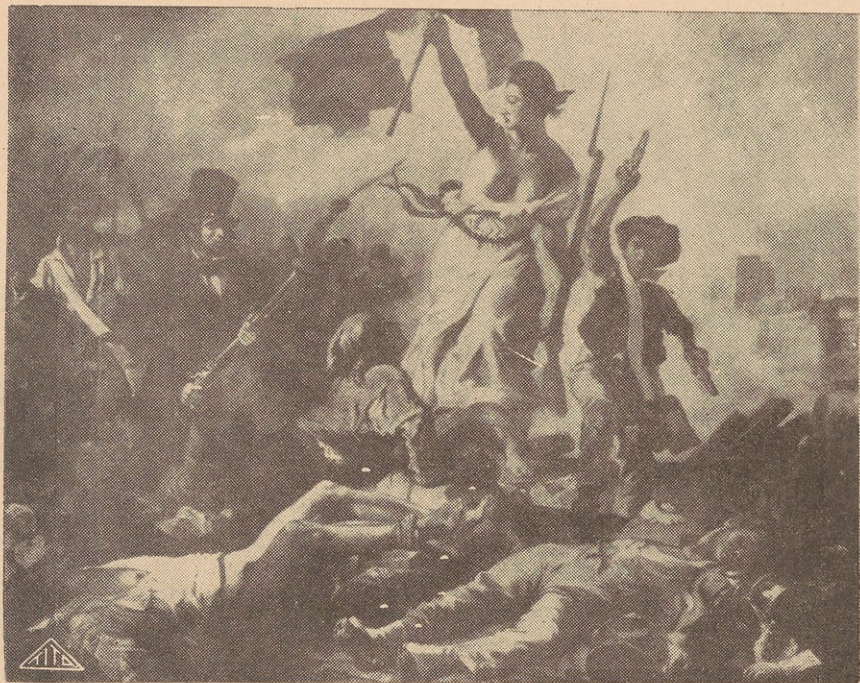
ام اكتب عن دهلاكروا ، وقيصر يحثني في تعريفه نقلة النسر

من مطل الى مطل ، ومن قمة الى قمة ، ليلوّن من مجموعة حياته وتأثراته ونتاجاته صورة واحدة متناسقة فيها الهمّ من كل شيء .
ام اترك هذا وذاك لاقول كلمة موجزة في اهمية العمل الذي يقوم به المؤلف مع فئة من رفاقه الملمهين المؤمنين بالخير ، الساعين اليه ، وهم قليلون ، على كثرة الملمهين تحت هذه السماء ! فهو من اولئك الذين يعرفون عن يقين ان السعي لبلوغ مستوى الحضارة الذي بلغه الوجه الآخر من الارض يجب ان يبدأ بالتحضير الصحيح .
وليس اقوم في ذلك من افارة تلك الناحية الحلوة من النفس البشرية ، ناحية التحسس بالجمال ، التي بدونها لا يمكن ان تحيا الضمائر ، وتنبت المناقب ، وتتهذب الاذواق ، والتي بدونها لا تقوم نهضة في الاجتماع ، او في التفكير العلمي والفلسفي ، او في السياسة والاقتصاد ، او في العمران ، او في اي حقل من حقول الخير والحق والجمال .
لذلك تراه دائم السعي لبلوغ تلك الغاية ، عن لذة ، وعن عقيدة ، وإيمان ، فهو لا يتعب ولا يمل ! وكأني به قد استلهم ، من صورة دانتي وفرجيل لدهلاكروا ، موقف ذلك الشاعر المرعوب على شطوط بحيرة اشيرون ، بين الارواح التي تلسعها موجات النار لانها لم تفعل شيئاً في الحياة . . . فخشي تلك الموجات التي قلّ من يخشاها في هذا الشرق الكسول ، وجعل كل ثانية من حياته مشرّة الى ابعد حد ، فهو المعلم الساهر على صقل المواهب وتميئتها وتوجيهها توجيهاً مخلصاً لمجد لبنان وخير الانسانية ، يتحدث عن الموهوبين من طلابه كما يتحدث الوالد عن بنيه المتفوقين . وهو الفنان المنتج الذي يعمل على ايجاد التوازن الاكمل بين الطابع اللبناني الصافي ، او النكهة

البنانية ، والكلاسيكية الأوروبية الغنية ، فلا نكون مقلدين للغرب ، ولا « متجيبين » منه ! وهو من المساهمين الاولين في تأميس الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة ، تلك التي تُعد بحق حجراً من اوصاف حجارة الزوايا في بناء المستقبل الصحيح المرتقب . وهو اخيراً مؤلف يفتح بهذا الكتاب سلسلة جديدة تحمل الينا ، باقرب الاساليب واعذبها ، عباقرة الفن العالميين الذين لا يزالون ، الى الآن ، نكرات او اشبه بالنكرات عند الكثيرين حتى من طلاب المعرفة في هذه البلاد !

فنحن اذن ، بفضل قيصر ودار المكشوف ، على موعد مع رافائيل ، ودافنشي ، ورنوار ، ودافيد ، وكثيرين غيرهم ، في المستقبل القريب ان شاء الله .

رشي معلوف



الحرية تقود الشعوب



دانتی وفرجیل ، بریشتہ المؤلف نقلاً عن ده کروا



تدريب اخيل على القتال



هنري الرابع وماري دي مديس نقلاً عن روبنس



فارس مراکشي



حصان جامح



السيد المسيح في حضن امه



توبة العذراء

عصر ده لاكروا

ان هذه المرحلة البراقة من طريق الفن الطويلة ، التي انطلقتها ، من شاطئ المتوسط الغربي ، ادمغة رافائيل ، ميكل انج ، دافنشي ، تيسيان وفرونيز ، وانا ملهم المبدعة ، والتي تابعت سيرها وتطورها ثلاثية عام بأحاسيس انسانية ، وشعائر طبيعية ، مع رجال نابعين امثال روبنس ، واتو ، فلاسكينز ، رامبرانت ، فرانس هاز ، وفراغونار ، وبلغت تقاليدھا النيرة آخر المفرق ، قد وصلت اليه منهوكة تعب ، لا لتسقط ميتة ، بل لتتراخ فترة من الزمن ، تستجمع خلالها قواھا ، ثم تنهض فتشب وثبتها الجديدة مع البارون غرو ، وتسمو الى الذروة مع جريكو وده لاكروا .

ان المذهب الكلاسيكي الجديد ، مذهب الجمال الامثل الذي انتشر على اثر اكتشاف حفريات هر كولا نم وبومباي ، قد ساهم

بنشره فئة موهوبة من كتاب اوروبا ، ساعدهم في مهمتهم
تسلّم روما قيادة الفن لانغماس باريس في الثورة ، فبشت في انحاء
اوروبا البدعة الجديدة ، ورجع الاكاديميسم الى البيت الذي خرج
منه ، ورجعت روما الى سابق مجدها لتقبض على الدفة ويدير
ربابنتها الفن العالمي .

عرقل « مذهب الجمال الامثل » سير الفن الحر بتحديد
المواضيع واساليب التدريس . ولولا عناد بعض الفنانين واخلاصهم
امثال بوشه وفراغونار ولموان ، الذين عرفوا لحسن طالع المدرسة
الفرنسية ان يتجنبوا التيار ويصمّموا آذانهم عن النظريات الجديدة
ويتابعوا رسالتهم ، لسيطر دافيد سيطرة تامة على الفن الفرنسي .
استهوت هذه الفئة الاضواء المسرحية والوان السجاد
الشرقي ، وتنبت الى ارتعاشات الانوار وانعكاساتها على
الاجساد والملابس ، واهملت عمداً الاسترسال في درس العضلات ،
فحافظت على التراث الفرنسي الشهواني المتزن الذي كانت التعاليم
الاكاديمية قينة بالقضاء عليه لو كتب لها النصر .

في هذه الحقبة المضطربة سافر دافيد الى روما لاثمام ثقافته
الفنية . وبالرغم من تأكيدات كوشان بانه سيحافظ على الروح
الفرنسي وبانه لن يضعف امام البدعة التي بعثتها حفريات
هر كولاخم وبومباي ، لم يتمكن من الصمود في وجه التيار ،

فقد تعرف في روما الى الطبقة المثقفة التي اعتنقت مذهب الجمال
الامثل و خلقت جواً خُمِرت فيه العقول بالنظريات الجديدة ، فانضم
الى صفوفهم واصبح من زعماء الحركة المرموقين .

ارسل دافيد الى صالون باريس لوحة كبيرة تمثل « مين
هوراس » افرغ فيها خلاصة نظرياته الجديدة ، وحقق اجساداً « لم
يخلق اليونان ولا النهضة الايطالية اجمل منها » ، وبرهن عن معرفة
عميقة بأسرار الجسد ، وعن تلاعب بارع بتوزيع الانوار والظلال ،
واحساس باللون دون ما تنوع وغنى ، وبراعة فائقة في المهنة ،
ودقة وقوة في الرسم . فكان لهذه اللوحة اثر كبير في الفن الاوروي
عموماً والفن الفرنسي على الاخص .

لما هدأت الثورة في باريس وتسلمت المدينة الجميلة مجدداً دفعة
الفكر والذوق ، غزا الطلاب محترفات دافيد وتلاميذه وكلهم
يبدش بالمذهب الجديد ، ويعلم الجمال الامثل ، فتحولت هذه
المحترفات الى هياكل لعبادة التماثيل اليونانية تشع فيها الشموع
على رؤوس كهان مؤمنين تمكنوا من توجيه الرأي العام حقبة
من الزمن دون ان يتمكنوا من عزل التعاليم المضادة في زاوية
مظلمة ، وذلك لعدم وجود نماذج تصويرية من الفن اليوناني ،
فالنماذج التي لديهم كلها تماثيل وعمارات .

اما فن العمارة الكلاسيكي فقد نشره في انحاء اوروبا البنّان

« فونتين وبرسيه » وحوّراه تحويراً يلائم سير الحياة العصرية وذوق السكان ، فوصل صيتهما الى القصر اسكندر ، فطلب اليهما اطلاعه على كل تصاميمهما التي كان يظهر دائماً شديد اعجابه بها .

وبينا القصور تشاد في انحاء اوروبا مطبوعة بطابع الامبراطورية ، فترفع بناية في بلاد شمالية ، لا ترى وجه الشمس ، على نموذج بناية في بلاد شمسها دائمة الاشراق ، كان المثالان كانوا وثورفالدسن ينشران الروح الاكاديمية ، ويزيّنان القصور بالتأثيل المطبوعة بطابع الجمال الامثل . وساهمت الحروب الطويلة التي أنهكت اوروبا وافقدتها نخبة شبابها وحصرت همّ الاحياء بتحرير بلادهم وطردها المجتاح ، ساهمت في انتشار التعاليم الاكاديمية ، فتبنّتها الحكومات وشجعت المبشرين بها . ولا يزال هذا شأنها الى اليوم .

الفكر لا يستعبد ، والفن ابن الفكر المتجسد بالالوان والاشكال . فبالرغم من سيطرة الحكومات على الفن ، وتبنيها التعاليم الاكاديمية ، ظل في اوروبا فنانون لم يعتنقوا المذهب الجديد . واثرت الثورة الفرنسية بمواضيعها الوطنية الواقعية على دافيد نفسه وعلى تلميذه المختار غرو ، فصداً عن مذهب الجمال الامثل الذي بشرا به وعلماه ، واخذ « برودون » بالشعر فلقب بكورييج فرنسا . اما في اسبانيا فكان « غويا » يحقق بعزلة تامة لوحات عبقرية تحت تأثير خيال مضطرب هائج ، وفي انكلترا يحافظ ريبورن ، ولورنس ،

على حرمة المدرسة الانكليزية وتراثها بالوانها الشفافة الدافئة .
 اما الفنانون الموهوبون الذين اغراهم الجمال الامثل فلم يلبثوا ان
 شعروا ببرودته فانتقضوا عليه وتحرروا من عبوديته ، فحدث من
 جراء ذلك اضطراب في التفكير واصطراع بين النظريات امتد
 من فرنسا الى المانيا وانكلترا ، وكان له تأثيره المباشر في تاريخ
 الفن .

خلال القرن الثامن عشر كان كل عمل في يحد متسعا في
 الابنية التي تشاد ، فيمتزج بهندسة البناء والمفروشات والزخارف .
 وكانت التماثيل العارية ، بالرغم من احتفاظها بطابع جمالي ثقافي ،
 يظهر فيها ذوق العصر بجلاء ، بعكس لوحات القرن التاسع عشر
 وتماثيله التي ليس لها ان تطمح الى اكثر من جدران المتاحف ،
 فتُحفظ عليها نماذج ، لها قيمتها التاريخية والثقافية ، فتهدى .
 قليلا من حدة التأثيرين على الجمال الكلاسيكي ، وتذكرهم حرفة
 اهلوها حتى كادوا ان ينسوها .

اما في القرن التاسع عشر فلم تسيطر الاكاديمية سيطرة مطلقة
 على فن العمارة ، فبين النصب المأخوذة عن اليونان ارتفعت ابنية
 مستوحاة من عصر الانبعاث والقرون الوسطى .

تتطلب مزاوله الفنون الجميلة كالتصوير والنحت والعمارة ،
 عدا المواهب الطبيعية ، والثقافة الغنية ، والاطلاع على تاريخ

المدنيات ، براعة يدوية هي الاحتراف الذي لا سبيل للفنان الى تحقيق اي عمل فني كامل بدونه . فكانت الاكاديمية تفرض على الطلاب شروطاً قاسية يتدرجون فيها الى الاتقان والكمال . وقد ساعد اتقان الحرفة فنانيين لا ينعمون بمواهب طبيعية غنية على الوصول الى درجة يحسدون عليها ، فسيزان كان يحسد بوغرو لان اللجان المحكمة كانت تنسق اللوحات على اساس هذا المبدأ ، فتغض الطرف عن وسائل التفهم الخاص ، والموهبة الشخصية ، وهذا ما جعل بعض الفنانين الموهوبين يسعى الى رضا الميسطرين بالرضوخ الى احكامهم مهما تكن قيمتها .

‘حُلَّتْ الاكاديمية الملكية بسعي دافيد‘ فبعث حلّها في نفوس الفنانين المتمردين بارقاً من امل . الا ان دافيد النائب في الكونفسيون ، لم يكتفِ بهذا الحل ، بل جعل العرض حراً في صالون باريس لعام ١٧٩١ . لكن هذه الحرية ظلت ، في عصر مضطرب ثائر ، نظرية اكثر منها واقعاً . فالدولة الفنية هي دافيد ، اي ان دافيد ظل المسيطر على الفن الفرنسي طيلة اربعين سنة ، قامت خلالها اربعة انظمة حكومية متباينة ولم تستطع وقف سيطرته .

ان نظرية الرجوع الى التماثيل القديمة لم تنتشر قبل العام ١٧٨٥ . وليست النظرية نفسها هي التي أخرت سير الفن في

اوروبا جيلاً كاملاً ، انما هم تلاميذ ناشري هذا المذهب لعدم فهمهم تعاليمه فهماً شاملاً . ففي انكلترا لم تمنع عقيدة النزعة اليونانية الدكتور ميد ، وهو احد المبشرين بها ، ان يخشع امام لوحات وايقون ويظهر كبير اعجابه بها . الا ان الذين تتلمذوا على هؤلاء المفكرين الكبار كانوا اقل ذكاء منهم ، فلم يتمكنوا من فهم الغاية النبيلة التي كانت ترمي اليها تعاليم اساتذتهم ، ففقدت طريقتهم الى البرودة ، ثم الى الجمود .

كان السبب الرئيسي في انحطاط نظرية دافيد هو المصور البوهيمي رافايل مانغ الذي عاش متنقلاً بين روما ومدريد ، وترك آثاراً اختلف النقاد في قيمتها ، فمنهم من رفع رافايل هذا الى مرتبة الفنانين الموهوبين ، ومنهم من جعله فناناً عادياً . ولعل هذا الرأي هو الاصح ، لان القوى الجمالية ضعيفة فيه ومعجونه شحيحة الالوان ، وطريقته جافة لا حياة فيها ولا حركة . لكنها تغري بنظافة الالوان واتقان العمل . وهذا ما اثر في تلاميذ دافيد ونقاد ليس لهم تهذيب فني رفيع واحساس مرهف ، فجدوا طريقة رافايل مانغ وجعلوا منه المصور الاكبر .

لم يتقيد دافيد بمذهب الرجوع الى القديم ، الا بمؤلفاته التي كان القصد منها اثبات نظرياته . وكان عندما يستوقفه وجه جميل وعينان جذابتان ، يستسلم الى موهبته واحساسه ، فيحقق

بغنى وعمق واخلاص صور الافراد والجماعات برسم متين والوان
متزنة متألقة . ولم يزد واحد من تلاميذ هذا المعلم شيئاً على
تعاليمه ما خلا غرو فلم تتمكن نظرية الجمال الامثل من
الحوول بينه وبين الواقع الذي تأثر به مباشرة وحققه بلوحات
عبقريّة شقت الطريق امام اثنين من اكبر الفنانين الفرنسيين هما
جريكو ودهلاكروا . وعنهما اخذ الفنانون في فرنسا وتابع معها
تاريخ التصوير سيره بمعزل عن التعاليم الاكاديمية .

وكان من نتائج نفى دافيد الى بروكسل ، حرمان المدرسة
الفرنسية رجلاً مؤمناً ، وتسلمها آخر مزعزع الايمان . فتشتت
شملها وانقسمت النظريات بين غرو وانغر ، الى ان مات اولهما
منتحراً ، فالتف المدرسيون حول الآخر وشهروا على الرومنطيين
حرباً بلا هوادة جارت فيها احكام على رجال من عباقرة الفن
امثال جريكو ودهلاكروا وكوربيه وكورو ودومييه وباري .
لكن التاريخ ، وهو اعدل حكم ، انصفهم ، فاحتل كل مكانه
في اللوفر مدرسة الفن الامثل ، وسمي معلماً في مدرسة التاريخ .



ده لاکروا بریسته



نساء من مدينة الجزائر داخل الحرم



عراك بين الباشا والياور





فارس عربي



القديس سبستيان



المسيح في بستان الزيتون



طوبيا والملاك



المسيح نائماً في القارب في اثناء زوبعة

مأساة ده لا كروا

ترى لم اغمض ده لا كروا عينيه عن اعياد باريس وزهوها ،
وولى ظهره ليالها المعربة الراقصة كالنور ، الشاعة كالشغور ؟
لماذا لم يرَ في انوارها الضحاكة سوى الظلمات ، وفي مراقصها
السكرى سوى المآثم ، وفي مسارحها التي تُلعب فيها المهازل سوى
المأساة ؟ لماذا اسدل ده لا كروا صاحب الخيال الجامح ، والدماغ
الغني الخصب المتفتح على جميع الاحاسيس ، لماذا اسدل على عينيه
قناعاً كثيفاً فحجب عنهما الحياة الهائلة وبني جداراً بينه وبين العالم
الضحالك ؟

كتب مؤرخو ده لا كروا ان صاحب « عدل تراجان »
هو صنو لصاحب « عرس قانا » . ربما التقى الفنانان في تنوع
الالوان وغنى الراحة وسخاء المادة ، اما في فلسفة الحياة فلم
يتلاقيا مرة واحدة . لم يرَ فيرونيز في الدنيا سوى اعيادها ،
ده لا كروا

وحفلاتها ومراقصها ، وسخر لتحقيقها بذخ البندقية وغناها وما
جاءها من ألوان الشرق الدافئة ودلاله وملذاته : فالعطور تعبق
في أجواء لوحاته ، وانفاس البخور تلثم الاقداح وتتعالى متهادية
مع أناشيد الزهو والطرب في زوايا القصور بين الحرير والدمقس ،
ويتملج المخمل على قدود هيفاء ، وتشع على اعناق عاجية عقود
الماس ، وتزدان الصدور بالزمرد والياقوت ، والمعاصم بالاساور
البراقة . اعياد وثنية بين العطور والخمر وترقص على عزف
الموسيقى ورنه الاقداح .

ويجمع النقاد على ان روبنس هو الموحى اليه بهذه الألوان
الوردية المتلألئة ، والظلال الحامية الشفافة التي نشاهدها في لوحاته .
لكن مجموعة روبنس التي في اللوفر والتي كان يستوحىها ، هي
ايضاً اعياد وافراح ، « فالكرمس » وسلسلة لوحات حياة ماري دي
مدسيس ، أنشد نابغة انفرس فيها كلها أناشيد الجسد والشهوة ،
فالأجسام تتلوى طرية ، بضء ، ناعمة ، شفافة ، تتآلف فيها الألوان
تآلف الاصوات في السمفونيا ، وتضج فيها الحياة الحرة العارية
ضجيج الامواج ، وتصخب صخب العواصف . اعياد على الارض ،
اعيان في الاولمب ، اعياد الجسد وأناشيد في كل روعتها وجمالها
وحيوانيتها . حب هنا بين الجنائن والازهار ، وحب هناك بين
الغيوم التي لا تحجب عن عيوننا شيئاً من غنى المادة ، وجمال

التقاطع .

وبعد ، ما هي المأساة التي كان مسرحها قلب دهلاكروا
وخياله وعقله ، فأرته الدنيا « شعلة نار اشعلها الانسان بيد القدر » ؟
وما هذا العذاب الداخلي الذي عصفت في ضلوعه وضج في كيانه
وحز في نفسه فاعمى عينيه عن الحياة وهو الذي تعجب فيه الحياة
عجيباً ، وتندفق من يديه بفيض وكرم ، فتتحرك الاشكال
وتعذبها ، كأن نفسه ترتاح الى تعذيبها . أموت والديه وهو بعد
صغير ، ام تلك الدعوى التي جردته من خيرات العالم المادية التي
ورثها عن والديه ، وتركته بحالة الفقر المدقع ؟ أهى مطالعه
دنتي ، وشكسبير ، وبيرون ، ووالتر سكوت ، وغيرهم من كبار
كتّاب المآسي ، ام عصبيته المشتعلة ومزاجه المريض ، والنفس
الجبارة التي يضمها هذا الجسم النحيل ، فتعذبه كما يعذبه دماغه
الحصب وخياله المضطرب ؟ ام هي همسات الثرثارين التي كانت تبلغ
اذنيه احياناً مرجعة انه ابن طبيعي لتايران ، ام هم الناس عموماً
بشرهم المطبوع على قسما وجوهم ، والغدر المثل من نوافذ
عيونهم ، والحسد الذي يأكل قلوبهم ، ام الكوارث التي كانت
تتالي على العالم من حروب ومذابح ومجاعات وتعذيب وتقتيل
وحرق ونهب وتقطع ، ام هو النضال الطويل بينه وبين دافيد
وتلاميذه ثم مع انفر واتباعه ؟

ان احساس دهلا كروا الدقيق وانسانيته الكاملة وخلقه النبيل ومطالعاته ومشاكله الخاصة ، ساهمت كلها في تغذية شعوره واثارة نفسه السامية وخياله المضطرب . فكان يشب الى قماشته يرسم الاشكال ، وينثر الالوان ، بيد عصبية ودماغ هائج ، فتتألب المخلوقات بين يديه حية ، متألمة ، صارخة ، هنا رجال متمددون يلفظون انفاسهم ، وهناك نسوة يبكين ، وامهات فارقتن الحياة ولا يزال اطفالهن يدبون على صدورهن يفتشون عن اثدائهن ، وهناك صبايا تجرهن الجياد فتتناثر اشلاؤهن على الغبراء كأزهار عبثت بها انامل قاسية ونثرتها في الهواء . ان لوحات دهلا كروا صيحات تدوي في اذن الانسان وتلول في وجهه : رويدك ، الى اين ؟

للوحات دهلا كروا بالوانها القوية مغاز ثقافية تهذيبية . وما هذه المذابح والمجازر البشرية التي صورها سوى شهادات ناطقة ببربرية الانسان ووحشيته ، وهو لم يخلدها حباً بها ، بل مثلها امامنا ، وجسم بشاعتها وقسوتها ، ليشير في نفوسنا الشعور الانساني النبيل ، فننصرف عن التدمير الى التعمير ، وعن القتل الى الخلق ، وننتكر لهمجيتنا الحيوانية ، فنرتفع الى ذروة انسانيتنا بما فيها من نبيل ، وحب للخير ، والجمال ، والكمال .

اوجين ده لاكروا

في ايلول ١٨٦٣ كتب بول ده سان فيكتور يقول : « لا يجوز لنا التصدي لكتابة حياة ده لاكروا لاننا ما زلنا بحاجة الى كثير من الوقت والجهود لتنفض عنها غبار الالهال الذي غمرها ، ويجسن بنا ان ننتظر همس الذكريات ، ونشر الرسائل والمقابلة بين الشواهد . »

اما اليوم وقد دخل ده لاكروا في « بانتيون » التاريخ الذي تخيله « دانتون » فاصبح بامكاننا ان نتحدث عن حياته وفنه .
رأى ده لاكروا النور في « سان موريس » في ٢٧ نيسان من العام ١٧٩٨ . وفي مذكرات الروائي الكبير « الكسندر ديماس » صورة صادقة عن طفولته الشائرة ، وحيويته العصبية .
كتب « الكسندر ديماس » ان « اوجين ده لاكروا اوشك في خلال سنة ، ان يفرق ، وان يتسمم بزنجار النحاس ، وان

يشنق نفسه بحزام اخيه البكر ، وان يحترق حياً في فراشه ، وان
يختنق بحبة عنب . » ولاحظ الكسندر ديماس ان عين اوجين لم
تكن تفارق انامل النحات « شينار » عندما كان ينحت رأسي
ايه وامه في مرسيليا ، وانه ادهش احد اساتذة الموسيقى في
« ليون » ببدايته النادرة . فلو ان هذه المزاي لازمت طفولة ولد
ظل مغموراً ، لما تنبه لها احد . ولكن ميله الفطري الملح الى
الفنون الجميلة لفت اليه النظر واثار فضول الروائي الكبير ،
فدون هذه العوارض .

لم يكن ده لاكروا يجهل هذه الخصائص فيه ، فقد حدث
يوماً صديقه بودلير عن طفولته واكد له انه كان غلاماً خطراً .
اما اول اثر فني لده لاكروا ، فيرقى الى العام ١٨١٤ وهو تجربة
حفر على قدر من المعدن . واول اثر ادبي له رسالة الى صديق ،
تصور ديراً اشتراه نسيب له في النورمندي ، يقول فيها : « ان
في هذا البناء دهاليز مستطيلة يكاد البصر لا يصل الى آخرها ،
وسلماً ضيقة من الصعب على اثنين الصعود فيها معاً ، وكنيسة
قديمة متهدمة تحرس جدرانها المتداعية مدافن اسياذ « ايتو نفيل » ،
وفي سكون الليل وهدوئه ينسل الهواء بين اخشاب شرفاتها
المتباعدة فيحدث صفيراً خفيفاً يرافقه نعيب البوم التي تأوي اليها
فتشير في النفوس المرهفة احساساً حزيناً يحرمها طمأنينة النوم ،

ومع ذلك احببت هذه النزعات الليلية وحلمت منفرداً بين خرائب هذه الكنيسة الصامتة التي كانت جدرانها ترجع صدى وقع خطواتي . »

وفي رسالة اخرى يتمنى ده لاكروا على الحظ ان يسعده بدخول محترف « غيران » : تمنى ذلك طفلاً ، وحلم به يافعاً يوم كان في المدرسة لا تطمح نفسه الى اعلى من مستوى الغواة . دخل المحترف في ريعان الصبا ، وكان رومنتيقي النزعة ، مشتعل الاحساس ، تسيطر المأساة على تفكيره ، ويرى العالم شعلة نار اوقدها القدر بيد الانسان . فاصطدم ببرودة رجل لجمت تعاليم « دافيد » خياله وقتلت شخصيته . فترك محترف « غيران » مختاراً ، وذهب الى متحف « اللوفر » يستوحي بين جدرانه الرحيمة الغنية ، كبار الفنانين ويدرس آثارهم . فنقل « تيسيان » ، و « فيرونيز » ، و « رافاييل » ، و « روبنس » ، فتأثر بهذا تأثراً كبيراً ظهر في لوحته « محرقة سردنبال » ، فمن « روبنس » لون هذه البشرة الوردي المتألى ، ومن « روبنس » هذه الاجسام الغضة البضة تفيض حياة وحركة ، ومن « تيسيان » هذا الجو الغني الدافئ ، يتآلف فيه الاحمر والاخضر تآلفاً عجيباً ، ومن « فيرونيز » هذه الجموع المتألبة وهذه السهولة في الخلق .

وفي اللوفر التقى ده لاكروا « جريكو » هذا المتمرد الآخر

على التعاليم الدافيدية فدعاه الى محترفه واره رائعته « خشبة المادوز » التي فتح بها فتحاً رومنطيقياً في الفن ، فصعق ده لاكروا لرؤيتها وخرج من محترف « جريكو » هائماً على وجهه ، تأثراً في شوارع باريس وازقتها ، فاراً من اشباح الجياع المنتصبين هرباً امام عينيه ، ومن الموجة الجبارة الهائلة الفاعرة شديقها لابتلاع الخشبة ومن عليها .

تجلى تأثير « جريكو » في بكر لوحات ده لاكروا « دنتي وفيرجيل » التي رفعته الى الشهرة دفعة واحدة ، واثار عليه من اجلها اتباع « دافيد » حرباً بلا هوادة ، فأجمعوا على انها صفقة على جبين الفن .

يوم تعرف « ده لاكروا » الى « جريكو » ، كان هذا يعلو بعبقريته الرائعة على عصره والمرض يأكله ، والقبر ينفتح لضمه بين احضانه الباردة ، وكان « انغر » يتملص من النير « الدافيدي » حالماً بـ « الكواتروسنتيست » واليونان .

ظهرت لوحة « دنتي وفيرجيل » كاللغز لا حل له ، فاللوحة تعد تاريخياً من اهم لوحات العصر .

ده لاكروا ، ابن اربع وعشرين سنة لا يطرح المسألة الجمالية بوضعه التصوير في خدمة الادب ، والشعر ، والتصوف ، وكلها غريبة عن التعاليم الدافيدية فحسب ، بل يلقي درساً جمالياً في

الرسم ، فيفضل التقطيع الملوّن على الخطوط ، ويتنبه الى رد فعل النور والهواء على اللون الحلي ، ويضحى بالجمال المألوف في سبيل التعمق في الدرس النفساني . وهذا ما لم يجرؤ عليه واحد بعد « روبنس ورامبرانت » ولم يتساهل به الدافيدون مع « غرو » و « جريكو » الا بمقدار .

كان التصوير ، نقلاً مباشراً عن نماذج حية ، ثورة على الفن ، فبشر مثل « دنتي وفيرجيل » هم إلحاد في نظر « انغر » ، وتحد لقواعد دافيد الجمالية ، وبربرية في نظر المدرسين ، ولكنهم دروس جديدة للشبيبة الرومنطيقية .

استعار ده لاكروا الوقائع التاريخية من خلال خيال كبار الشعراء وجسدها بقوة وعصبية ملتهبين . ف « هملت » حقيقة ك « الصليبيين » ، و « دون جوان » ك « الترك » ، و « جنود شارل الجسور ودنتي » احياء ك « ثوار ١٨٣٠ » . لم يمجّد المعارك الوحشية ، وفكك الانسان بأخيه الانسان ، بل جسّم هذه الحوادث بدماعه المفتوح على كل الاحاسيس الكبيرة ، وعبر عن الألم والبطولة ، والعذاب خلال العصور ، وألف من رسمه وزناً ، ومن الوانه موسيقى لم يؤلف مثلها احد ، ولم يعرف واحد مثله ان ينسق الالوان ، وينشر الظلال الملونة ، ويرمي بالنور على العنصر الاساسي ، فيضج ، ويضحك ، ويرقص ، او يصرخ ، ويتألم ، ويموت .

فلوحة « دنتي وفيرجيل » هي احتجاج صارخ على المدرسة الدافيدية ، هذه المدرسة التي كان يقول عنها : « انها اقرب الى مؤسسة اثرية منها الى مدرسة تصوير . »

نحن نعجب اليوم ، لهذه اللوحة ذات الاشكال الكلاسيكية الرصينة ، والالوان الهادئة ، تعد في ذلك العصر لوحة ثائرة وتستحق تلك الشتائم القاسية . ولكننا لو قابلنا بينها وبين « يمين هوراس » لدافيد لادر كنا جرأة ده لاكروا على التجدد وثورته على تعاليم ديكتاتور الفن . ليس الجديد في تحفة ده لاكروا هو خلق اجساد تخالف مقاييس الجمال الدافيدي ولا هو تعريف المدرسة الفرنسية الى الوان تجهلها فحسب ، بل الجديد في رائعة ده لاكروا هو التعبير بقوة صارخة عن العاطفة العميقة ، الممزوجة بالمأساة الفاجعة بطريقة حية جريئة تساهم فعلياً في اظهار هذه الاحاسيس ، فأجساد الهالكين المتلوية ، وعضلات هذا الناشب اظفاره واسنانه في الزورق ، وفوران الاجساد الدكنا في بحيرة الظلمة السفلية ، والانوار الكبريتية الصفراء تلفح بشرة المعذبين ، والمأساة التي تمثل في رأس دنتي وتطل من عينيه ، وفه ، ويديه ، صورت كلها بثقة وقوة ومهارة لا تبلغ اليها سوى موهبة نادرة ذكر عنها « تيرس » انها جمعت الى قوة « ميكل انج » سهولة « روبنس » وغنى الوانه .

الا ان هذه الجمالات لم تمنع اللجنة الحاكمة في مسابقات المدرسة من تقديم تسعة وخمسين مصوراً على ده لاكروا فانتقم له التاريخ بأن سجل اسمه بين كبار المصورين العالمين وفي طليعة الفنانين الفرنسيين ، فهو ينتسب الى « فيرونيز » و « روبنس » والى كبار نوابغ الفن الذين تتهافت المتاحف على شرف اختطاف لوحاتهم ، وستظل لوحاته جواهر تشع على جدران المتاحف ويين مجموعات الهواة .

هز العالم نبوغه العاصف المتقلقل الخصب المشع بما خط من صفحات رائعة وما خلد من المآسي البشرية .

مذابح كيو . — ارسل الى صالون باريس ، العام ١٨٢٤ ، لوحة تمثل « مذابح كيو » استوحاها من نضال اليونان في سبيل استقلالها . فصاح « انغر » لما رآها : « ليست هذه مذابح كيو انما هي مذابح الفن . » وجن « جيرار » ويثس « غيران » واعلن غرو ان ده لاكروا ير كض على السطوح ، ولكن احداً لم يره يشب الى السماء .

تحدى ده لاكروا للمرة الثانية قواعد الجمال التي بشر بها دافيد ، فصور الموت الرهيب على وجه صبية لا تزال يد طفل تفتش عن ثديها ، واليأس المجنون في عيني ام تشاهدان الموت يزحف بثقة وبطء الى ابنها الممدد بقربها ، وفارساً كردياً

يمتطي جواداً ثائراً يتدفق الزبد من شقيقه يحرق فوق ذيله صبية
طرية عجزت وحشية الغزاة عن تشويه جمالها ، صبية لم تخلد
ريشة ده لا كروا اجمل منها . فتصرخ امها ، تولول يسراها بوجه
الظالم ضارعة ، وبيمينها تشد شعرها المشعث متوسلة يائسة ،
فيرشقها الفارس بنظرة قاسية ، ويمد الى سيفه الاحدب البراق يداً
تعودت امتشاق السيوف ، وألفت التقتيل والتفطيع .

وفي جو الطبيعة التي تقع فيها المأساة ، حلم كئيب باكٍ وانوار
تتشظى هنا وهناك ، بين تلال دكناء ، وغيوم سوداء ، ودخان
الحرائق المتصاعد الى السماء ، فتزداد تلك البقعة الدامية هولاً ورعباً .
يروى اصدقاء ده لا كروا ان جو هذه اللوحة هو من يد
صديقه « سوله » و « تاليس فالدينج » المصور المائي الموهوب الذي
كان يعيش واياه ، ولكن الثابت ان ده لا كروا اشتغل منفرداً
شهوراً طويلاً في بناء الموضوع ، فحوّره مراراً ، واحيا الوان
اللوحة كلها ، بعد ان اتيح له رؤية لوحة من ريشة صديقه
« جون كونستابل » المصور الانكليزي الناعم .

لوحة محرقة سردنبال . — اما لوحة محرقة سردنبال ، فقد
اثارت كأخواتها النقاد والدافيديين ، فكتب بعضهم يقول : « انها
صورت بمكنسة سكرى . » وقال آخر : « انها صنعت بيد
مريض يهذي . » ويعترف ده لا كروا بان اول نظرة منه الى لوحته

معروضة بين لوحات الاكاديميين ، اقلقتهم ، وتمنى ان لا يراها
الناس من خلال عينيه . اما اليوم ، فاين نحن من هذه الآراء
المتضاربة المغرضة ، فاللوحة آية من آيات الفن الرائع ، تعجب فيها
الحיות ، وتجابه الالوان بعضها بعضاً ، وتداعب الانوار اجساداً
بضرة ، يختبئ الظل وراءها ندياً شفافاً ، وتطبق الظلمات حولها
هوى ، وتفتحها على جمالات ، تطل على العيون ، فوق تلال
تلثمها شفاء النور ، ووهاد تنفياً الظلال الطرية ، وعلى منصة
فسيحة ، فرشتها انامل ابنة صور بأرجوان غني ، يتكى المليك
مطمئناً ، بهدوء دونه هدوء الموت ، وتتملح حوله صبايا ،
البستهن راحة ده لاكروا ، الالوان الوردية المتلائة ، بسخاء ما
بعده سخاء .

لم تستطع كل هذه الجمالات دفع الشتائم عن ده لاكروا ،
فارسل « ده لاروشفو كو » مدير الفنون الجميلة آنذ بطلبه ، وانذره
بان يغير طريقته ، والا عوقب بالحرمان .
وعلى اثر ذلك ، كتب ده لاكروا الى صديق له يقول :
انت تدرك ما لهذا الحرمان من التأثير علي ، ليس من الناحية المادية
فحسب ، بل لاني اشعر اني من القوة بحيث استطع ان اغطي
مدينة بالصور . اما هذا التدبير الجائر فهو اضعف من ان
يطفى شعلي ، ولكنه سيضطرني لان اضيع اخصب سني العمر

باشياء تافهة لا تهمني .

وهكذا ، لم يززع التهديد ايمانه ولم يشنه عن السير في الطريق التي اختطها لنفسه ، وزاد ثروة الفن بسلسلة لوحات عبقرية ، خالدة ، يعيش العالم معها في حلم يتجدد كل ساعة ، فيسيطر على عواطفنا واحساسنا ويثير دهشتنا واعجابنا باناشيده الرقاصه الضحاكة وماسيه الصاخبة الدامية ...

موت شارل الجسور . — مثل ده لاكروا هذا الحادث في يوم ممطر عبوس تحت سماء محجبة بالغيوم الدكناء ، يختلط الرجال بالخيول ، والاعلام بالحراب ، وتحتل الفاجعة المقام الاول . كبا الحصان بشارل الجسور ، وطار السيف من يمينه ، وهاجمه عدوه برمح طويل يحمل الموت المحتم . فينادي جواده بصوت تهتز له اعصاب المطية ، فتندفع بكل ما في قوائها من قوى ، ولكن الموت كان اسبق .

لم يكن حكم النقاد على هذه اللوحة بأرحم منه على اخواتها ، فقالوا انها لا تمت باي صلة الى ما سبقها من لوحات المعارك النابوليونية ، وانها تخالف الحقيقة التاريخية .

نسي النقاد ان « ده لاكروا » نائر على الشرائع ، شاردين بين الارض والسماء ، يرى الدنيا شعلة ومجزرة اضرمتها احقاد لا نهاية لها الا بنهاية الانسان . ونسوا ان الفنان ليس مؤرخاً يروي

الحوادث بامانة ، بل هو شاعر يلبس الواقع حلاً من خياله ، ويعرضه على الناس مخلوقاً جديداً .

الحرية تقود الشعوب . — وفي لوحة « الحرية تقود الشعوب »
 باح ده لاكروا ببعض معتقداته السياسية ، واسدل ستاراً من
 النسيان على الماضي ، ومثل المأساة الحاضرة بمزيج من الخيال
 والواقع .

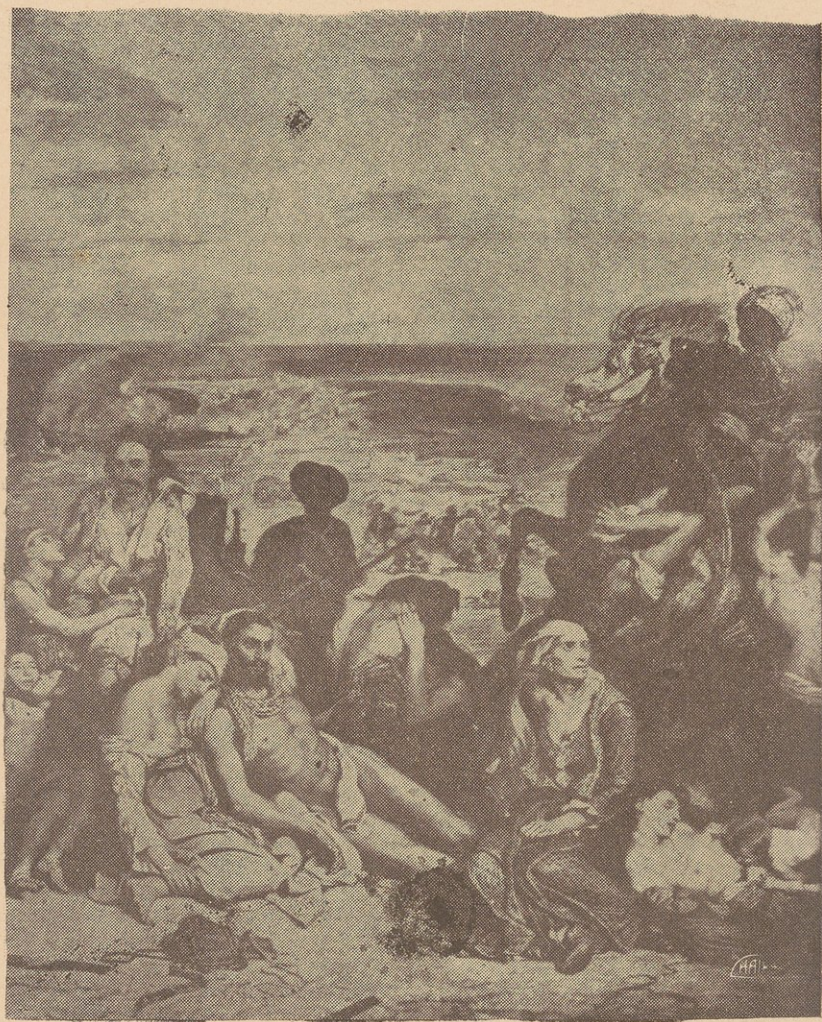
تتصدر اللوحة فتاة جميلة جذابة ، برزت عارية النهدين ، ترفع
 العلم بيمنها ، وتمسك البندقية بيسراها ، تتطلع الى الشعب الصاخب
 الهائج ، بعينين ملؤهما السحر والعزم . مشت ملوحة بالعلم ، عن
 يسارها غلام في العاشرة ، يشهر غدارة يمينه ، ويحمل اخرى
 بيساره ، ولعله كفروش « فيكتور هيغو » . وعن يمينها وقف
 فتى عصبي المزاج ، يعتمر بقبعة عالية ، ويلتف برداء اسود . انه
 يتحفز للوثوب معها . ويرحف عند قدميها فتى ثالث مصعداً اليها
 نظرات الاعجاب واليقين ، وتتبعها الجماهير الحاذقة ، الغاضبة على
 الظلم ، تلمع في ايديها الشفار ، وتشع العيون بريق الحرية .

اما اشلاء القتلى ، التي تدوسها الجموع الزاحفة ، فهي معجزة
 الفن الحديث في الرسم والوضع والتلوين .

اسقف لياج . — استقى ده لاكروا الموضوع من القصص
 « ولتر سكوت » ، مثله بقسوة بربرية .

جو قائم راعب ، وقاعة سرية ، مظلمة ، مبهمة ، وانوار باهتة ترسلها المشاعل ، ويداعب الهواء انعكاساتها على غطاء ابيض فتكون اشباحاً رهيبة . كان دهلا كروا يحدث اصحابه عن الغطاء ويقول : غداً اهاجم هذا الغطاء اللعين ، فلا اعلم أيكون لي اوسترايتز ، او واترلو ؟ فكان اوسترليتز .

دخول الصليبيين الى القسطنطينية . — اما تحفة دهلا كروا فهي « دخول الصليبيين الى القسطنطينية » ، لوحة اتفق النقاد والفنانون على انها واحدة من اربع او خمس لوحات هي اجمل ما في العالم . يطل الصليبيون بخيولهم المطهمة ، تشق الفضاء يبارقهم ورماحهم ، حاملين على رؤوسهم الهم والالم ، تعبين من الظفر ، مثقلين بالنصر ، يريهم المستقبل ، تحنو الجياد على ضحاياهم ، فيمد حصان القائد الاكبر رأسه النبيل الى فتاة جاثمة بقرب ابوها الشيخ ، الذي يطلب الرحمة له ولها ، ويلوي بعنقه اللين الجميل يود ان يداعب بشفتيه جمالاً امتدت اليه يد الشقاء ، وشوهرته وحشية الانسان . وفي هذه اللوحة ، تحتل النساء وحليهن المقام الاول ، فقد صبّ دهلا كروا النور عليهن وعليها ، فبرزن انصاف عاريات جميلات تغمر وجوههن الحلوة شلالات من الذهب المذوب ، وتفرش الارض التي تمثل عليها المأساة عقود ومجوهرات وحلى وكل ما ينم عن البذخ ، والترف ، والسخاء . وينجم على



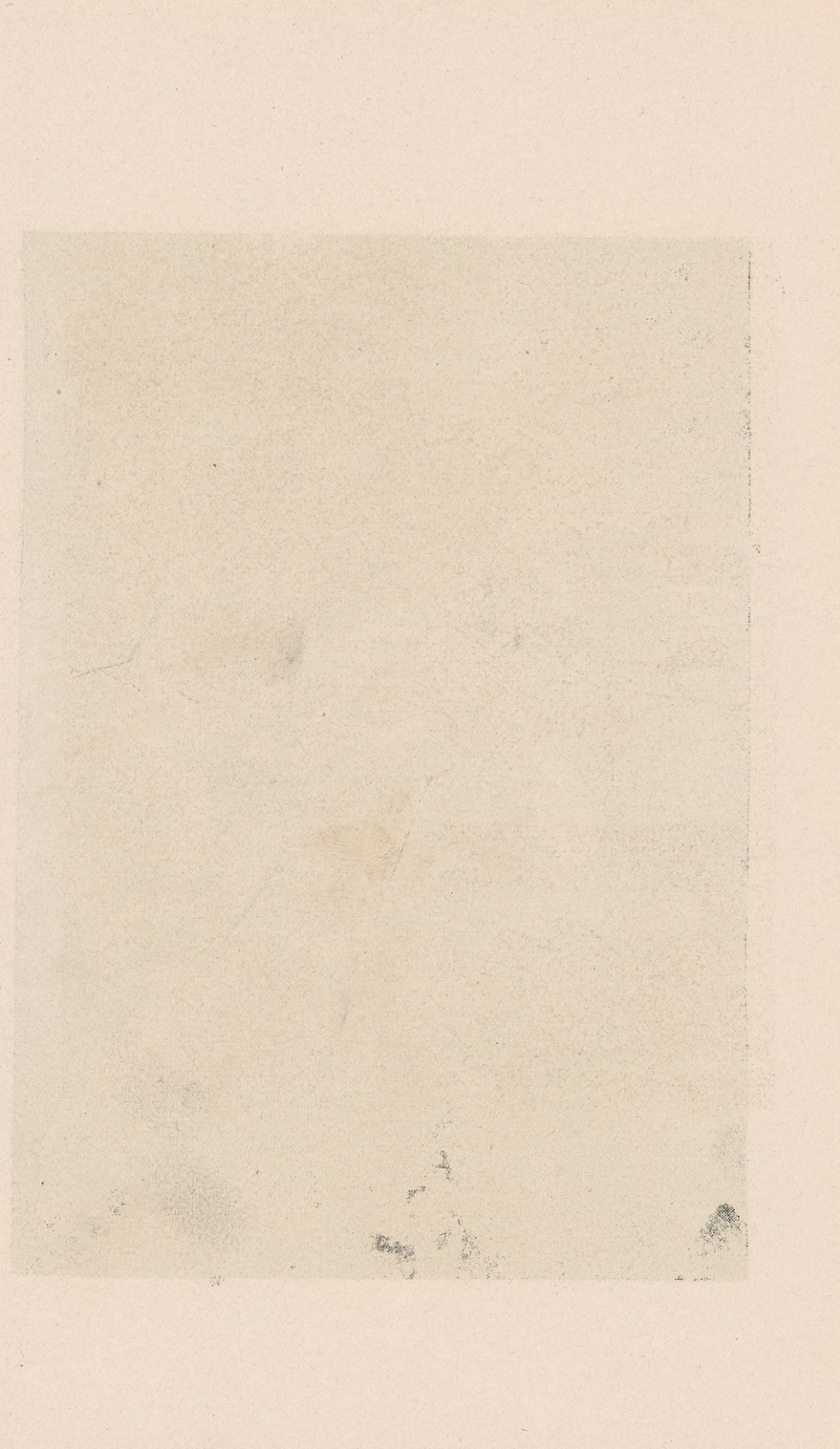
مذابح کیو

محرقة سردنبال

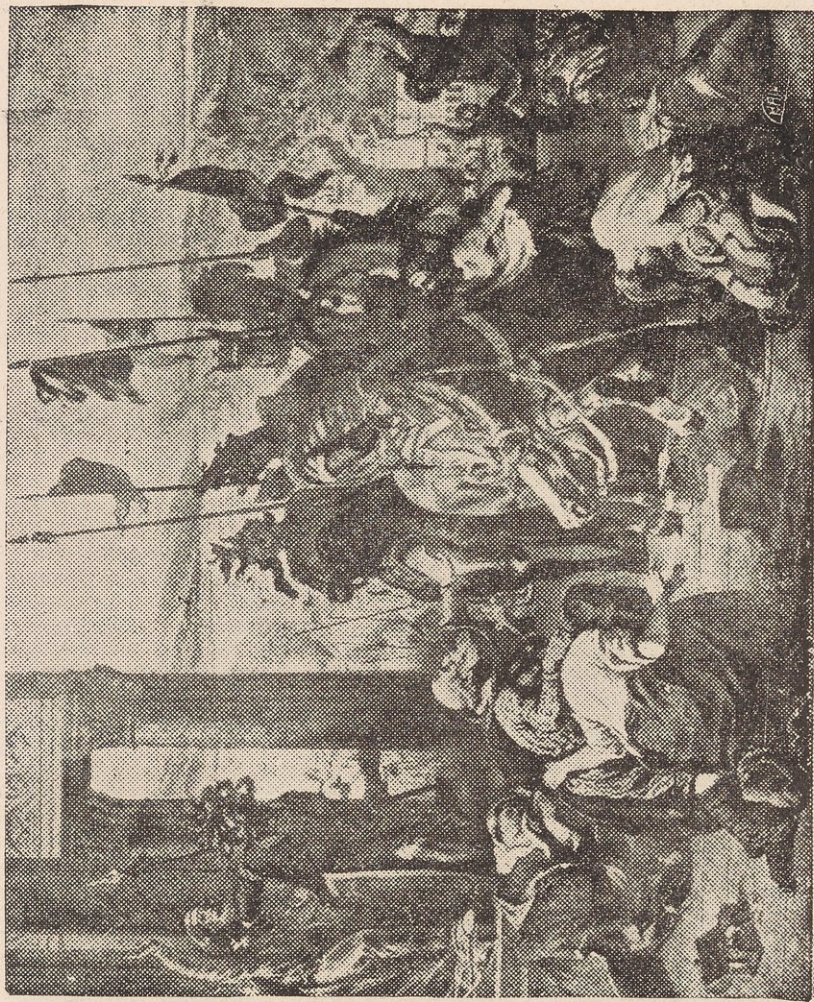


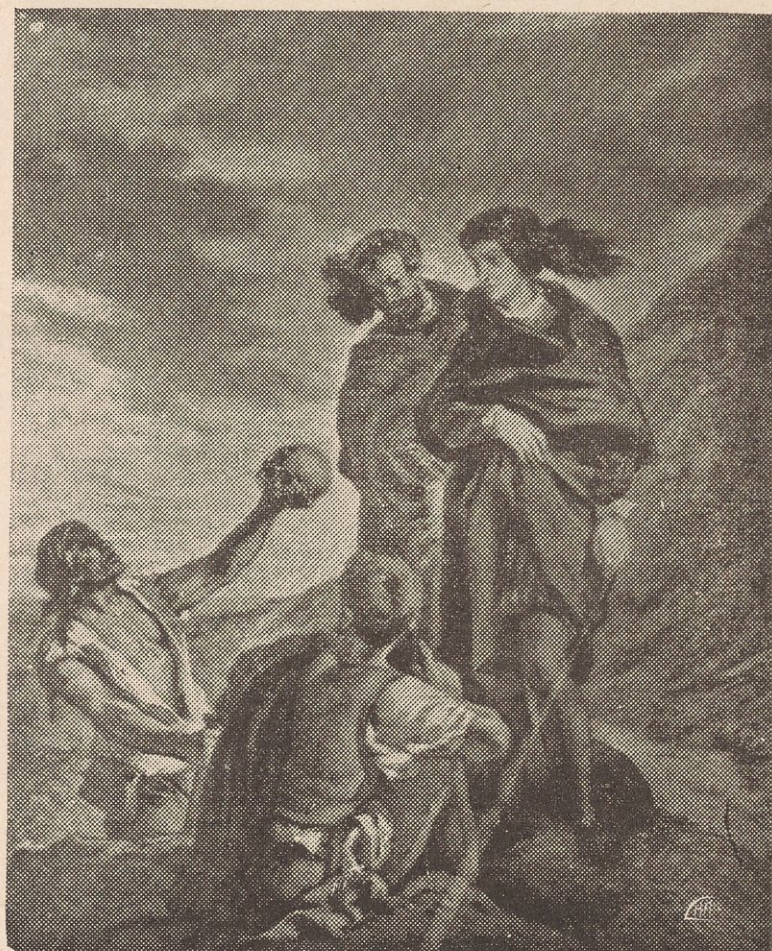


خشیة المادوز ل «جریکو»



دخول الصليبين الى القسطنطينية

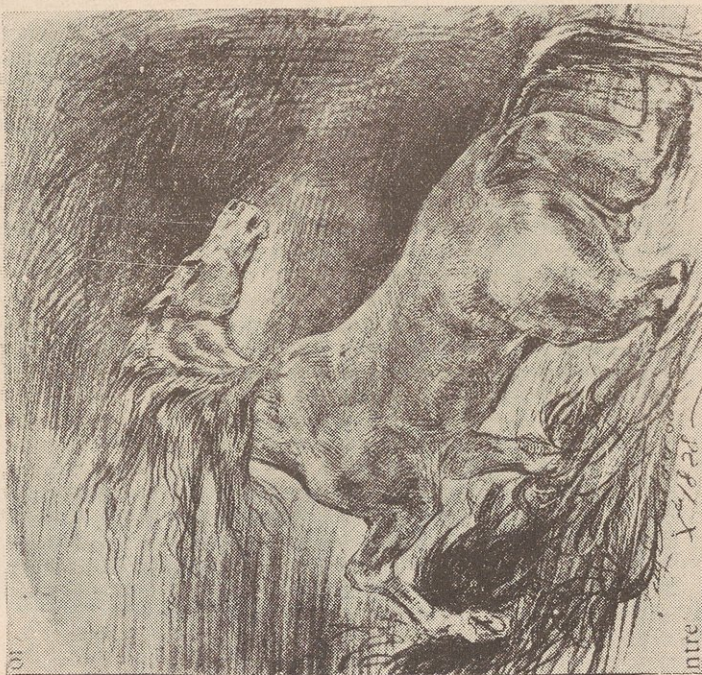




هملت وحفار القبور



میکل انج



حصان جامح



ده لاکروا ، پریشته



اثننا الثائرة

مدينة قسطنطين الكبير هدوء مريب ، تنير سماءه الكثيبة الوان
الصباح الفضية مع زرقة شاحبة وسحب سمراء قائمة تنسجم
انسجاماً تاماً مع جمهور الفرسان ، فتزيد المأساة نبلاً وجلالاً .
في هذه اللوحة فرشت راحة دهلاكروا السخية الواناً صمماً
قائمة مستوحاة من السجاد الشرقي . واثبت الفنان مقدرته على
التحليل ، فتذكر « شاردان » و « واتو » وتنبأ عن « مانه » .

كتب « بودلير » يصف دهلاكروا ، قال : « انه نحيل عصبي ،
كله قوة وحماسة ، قوة مصدرها الاعصاب والارادة . ان في عيني
نمر يتحفز للوثوب على الفريسة ، اقل مما في عيني دهلاكروا
من نور . وعندما تحوم نفسه حول فكرة او حلم تضطرب
اعصابه ، وتسري القشعريرة في عضلاته .

« ان عينيه السوداوين ، الكبيرتين ، قد صغرتا لانه تعود
ان ينظر بهما وهما شبه مطبقتين ، فيخيل اليك انهما تستلذان
النور وتسكران بالنظر اليه . ويظل شعره الاسود اللماع جبهة
عنيدة وشففتين مضحومتين بضغط متتابع من ارادة حديدية .
« لريشته جراءة غريبة والوان ساحرة يتآلف فيها الاخضر
والاحمر والاصفر بالانسجام وقوة عجيبة ، فتفتت الحياة من يده جارفة
صارخة تهز الاشخاص الاكثر هدوءاً ، فتحركهم رعشة داخلية .
دهلاكروا

« لوحاته هي مذابح وحرائق ، شهادات ملونة حية ، ناطقة ببرية الانسان ووحشيته الازلية : فالمدن مشتعلة ، والضحايا مخنقة ، والاطفال بين سنابك الخيل ، وتحت خناجر الامهات الفاقدرات الرشد . لوحاته اناشيد دامية تحت اشراف القدر والالم الثائر . خيال جامح بين الفردوس والجحيم ، بين الحرب والصلاة ، بين الاولمب واللذة ، بين الارض والسماء . فهو المصور الشاعر ، هو واحد من المحظوظين ، يشع خياله المتقد اشعاع الكنائس القوطية بالشموع والارجوان . اولع بكل ما في الآلام من الم وما في الكنيسة من جلال . كل ما في الكون يثير خياله فيريق على قاشته الملهمة الدم ، والنور والظلمات . »

كان هذا الرجل حباً وارادة . وكان من المؤمنين بالتأثير الاول الذي توحيه الطبيعة ، ويعمل بسرعة كي لا يتبخر شيء من نشوة الفكرة التي تجتاحه . سُمع مرة يقول لصديق : « اذا كنت عاجزاً عن رسم رجل رمى بنفسه من الشباك ، ساعة يسقط من الطبقة الرابعة ، لا يمكنك ان تصنع شيئاً كبيراً . »

رغبة ملحة لا سبيل له الى تسكينها . نداء داخلي كان يهمس في اذن قلبه باغراء « الشرق ، الشرق » ، هذا الحلم الملون ، حلم حياته ، كان يسيطر على تفكيره وخياله ، فعقد النية على رحلة الى الشرق ، ورافق البعثة التي امت مراکش برئاسة الكونت

دي مورنه .

قضى ده لا كروا ستة اشهر بين طنجة ومكناس والجنوب ،
جمع خلالها تأثيرات كثيرة ، ورأى بعينه النور الذي احسه
وتخيله منذ زمن ، غير انه لم يدون سوى معلومات ملونة ، سريعة ،
كانت له كنزاً يغرف منه ، مع ارتياحه بصدق هذه التأثيرات ،
كما تشهد رسالة يقول فيها :

« انا على يقين ان هذه الدروس والوثائق محدودة الافادة ،
فبُعدي عن الوطن الام يجعلها كأشجار استؤصلت من ترابها .
ان النسيان كفيف بتخفيف تأثيرها في مخيلتي . ولهذا انا ضنين
بان اصور ببرودة وعدم ثقة في التحقيق ، الحياة الملونة الزاخرة ،
التي تشع في الشوارع ، والتي تقتلنا حقيقتها الرائعة . »

ظهر تأثير رحلة مراکش في الوان ده لا كروا ، الملون الجريء
الحاد . فحجر على الاثر اللون الاسمر القطراني ، والسوائل
الحامية ، وصوّر نساء الجزائر بسخاء في المادة ، وغنى في اللون
نادرين ، يزيدهما ضياءً جو اشهب ، فضي ، كسول ، دافئ .

ظهر تأثير الشرق في ده لا كروا ، فهدأت ثورته . وبدلاً من
الماسي التي مثلها تحت سموات مضطربة عاصفة ، عزف لنا انشودة
الهدوء والكسل يخردها العطر ... فرحة طربت لها اناملُ
الفنان ، فتلاعبت ما شاء الخيال بالوان البشرة والاقمشة

والفسيفساء ، فجعلت من هذه اللوحة قطعاً نادرة الجمال . ويكفي العين النقادة الحساسة ، ظهر هذه الزنجية يلمع بين الالوان الصافية الدافئة . انه يذكرنا روائع الفن الاسباني .

في مراکش ، رأى ده لا كروا كيف تتحكم الشمس باللون ، واكتشف اسرار الظلال الملونة ، وعرف دور الانعكاسات المظفة ، واستخلص من ذلك معجونة نيرة ، ينثرها هنا وهناك ، على معطف احمر ، او مرتفع اخضر ، أو على غيمة تشع تحت سماء كالحلة .
عراك الباشا والباور . — هي انشودة من النور الملون .

يتلاقى الفارسان في صحراء فسيحة ، مضطربة ، فيلتحمان وينقضان الواحد على الآخر بقوة وضراوة ، فتلامس الخناجر الاجسام او تكاد ، وتشترك المطيتان اشتراكاً فعلياً في المعركة ، فيعض حصان الباشا الابيض عدوه الاحمر ، ويدافع الاحمر بجافره دفاعاً يائساً . وبين قوائم الخيل قتيل يعانق الارض قرب خنجر براق . وتريد المعركة وحشية طبيعة هوجاء تحت سماء لولا ومضات نور تمزق ظلماتها لخلناها سماء القطب الشمالي .

تسم النزعة الشرقية عند ده لا كروا بطابع تحليلي ، ف « ماريلا » و « ده كان » و « غيومه » كانوا اكثر فضولاً فاقربوا من الحقيقة العارية وصوروا الطبيعة والعادات عن كذب . و اضاف « شاسريو » الى روحية الانسان الافريقي احساساً في المناخ . وقبل « بنار »

رأى « فرومنتان » الحياة الخاصة واحسها . اما ده لاكروا فيظل متفرداً بتصوير حب الشرقي للشرف ، للترف ، للذة وسرعة الغضب . ولم يسر في هذا المضمار فنان ابعد منه في لوحته « براز الفرسان ونساء الجزائر » اعطانا فيهما هذا الشيء الذي كنا نجهله ونشتيه ، كما اعطانا اياه في دروسه عن الوحوش ، وعن الجياد السورية .

كان ده لاكروا يعد الرسم واللون في الموضوع ، اداة للتعبير عن شعور داخلي او فكرة ما . وما هذه العيوب الجمالية التي يعيرها بها الاكاديميون في بعض الاجسام ، الا تحوير اراده ، فهو يقصر عضواً ، ويطيل آخر ، حتى تتلاحم مخلوقاته وتتكتل اشخاصه ، فيجبر الطبيعة على طاعته . وهذا ما فعله « رودان » بعده ، وهو لم يرض قط ان ينقلها على قماشته كما هي ، انما كان ينقلها كما يريد لها خياله الغني .

ولالوان ده لاكروا مزايا خاصة وفضائل نادرة بين مدارس التصوير . فهي تحتفظ بطابع ثقافي دقيق . انها اللباس الذي يتطلبه الفكر . وهي في غناها وتنوعها كالنفس البشرية لا تحد . هنا تنشد الزهو والامل والشباب ، الوان فرحة براقية . وهناك اناشيد صماء تتمتمها الوان فاجعة خرساء . تناديك لوحاته من بعد ، وتنبيهك الى ان الفنان هنا ، وانه سيتلو عليك قصة فرحة

او مغامرة اليمة الخاتمة ، في فمه بوق الفرح والنحيب . اما لغته التي لا تخونه ابدأ فهي اللون . انها دائماً ملك يمينه .

لم يلق المدرسيون سلاحهم ، ولم يكتفوا بالاحتجاج على كل تشجيع كانت الحكومة تخصه به ، بل اوجدوا خلافاً بين « انغر » وده لا كروا او بالاحرى بين تعاليم « انغر » وطريقة دة لا كروا . فتجسم الخلاف حتى تباغض المعلمان . فـ « انغر » غضوب ظالم قاس ، وده لا كروا ساخر لاذع ناعم . وبين سخريه هذا وغضب ذاك تفاقم النزاع وتطور الى ما لا يجب بين فنانيين لكل منها رسالة يؤديها .

ليس في سير الحياة خطوة لم تسمع وقع قدمها اذنا دة لا كروا . استوقفته المآسي والاساطير ، الحقائق والديانات ، فآلم بها جميعاً لانه ، كما قال « بودلير » ، خيال جامع بين الارض والسماء .

القريبى سبانيان . — صور هذا الموضوع مئات الفنانين ، واتخذوه ذريعة لتمثيل الجمال العاري ، فتباروا في تصوير جسد الشهيد الشاب ، وتفننوا في اوضاع موحدة المعاني . اما دة لا كروا فلم ير سوى المأساة ، فالشهيد ممدد على الارض ، يتلقى اغاثة امرأتين ، تنحني احدهما عليه بعطف وتنزع من صدره السهام التي رشقه بها الجلادون ، فتتألم المرأة الاخرى للمشهد ، فتحول وجهها عنه ، وتسند قلبها بيدها منتحبة .

ليست هذه اللوحة مباراة جمالية ، وانما هي مأساة انسانية .
 ما اختار ده لاكروا وضعاً من اوضاع ادونيس ، وما اهتم باظهار
 جمال التقاطيع ، بل صبّ كالساحر النور على جسد الشهيد ،
 فظهرت عضلاته المفتولة وكأنها لا تزال ترتعش تحت تأثير الالم .

ان لوحة « سان سباستيان » نداء صارخ ضد التعاليم
 الاكاديمية ، وتأثر مباشر بالطبيعة ، الى ذكريات بعيدة عن « ميكل
 انج ، وجريكو ، ورامبرانت » .

يسوع في بستان الزيتون . — هي مأساة ثانية ، يصور بها
 ده لاكروا صراع الموت والحياة ، ويسمعا كلمة ابن الانسان
 التاريخية عندما تركه تلاميذه وحيداً : نفسي حزينة حتى الموت !
 يسوع يتملص من انسانيته المادية فيشع وجهه بالنور ، وتتراقص
 امام عينيه مشاكل البشرية كلها ، وتتجسم الاحقاد والمطامع
 والرياء ونكران الجميل ، فلا تؤلمه هذه كلها بقدر ما آلمته خيانة
 تلميذه . وتترأى له الكأس طافحة يقرأ فيها ارادة ابيه ، فيستسلم
 ويلوي رأسه قائلاً : « يا ابتاه فلتكن مشيئتك . »

المسيح في صحن ام . — ام يسوع وحدها تندب ابنها وتبكي
 على نفسها ، منفردة في دنيا من الظلام ، تحت سماء عبوس
 سوداء تمزق عتمتها لمعات نور دامية . انها تشارك العذراء البكاء
 على رسول الحب والسلام .

صراع يعقوب والملاك . — اما هذه اللوحة فهي ادوع لوحاته الدينية . يقع الحادث في بقعة من الفردوس . يبذل يعقوب جهوداً جبارة للانتصار على الرجل السماوي الذي يصده دون عناء .

لعل دهلاكروا أحب ان يعطينا بهذه اللوحة الرائعة درساً جمالياً . ففي عضلات يعقوب المشدودة اناقة وقوة ، وفي جسده الجبار اشياء من ميكل انج . اما الملاك ففي وجهه من الهدوء والجمال الكلاسيكي ما لم نعوده في لوحات دهلاكروا . أتراه ذكر ما قيل عنه من انه يهمل الرسم ويجهل قواعد الجمال ، فاراد ان يخرس اللسان الثائرة ، ويثبت للملا ان قادر ان يحقق بريشته ما يريد ، وان يقول ما يشاء ؟

تنبأ احد النقاد بان دهلاكروا لن يرسم ابداً مثل « جيروده » ، فلم يكن اسهل من تحقيق هذه النبوءة . ولكن أكارثة هي على الفن ، ام مجد لدهلاكروا ؟ ان رسم دهلاكروا وحبه الطريقة التزيينية ، خلقا له مشاكل لا تنتهي . الا ان شهود هذا الجهاد يؤكدون ان الملون عرف في اشد احتدام المعركة ، ان يتقي جميع الهجمات ، وعرف العالم فيه الموسيقى الملهم يسخر الالوان لينظم منها مجموعة لينة ، طرية ، مشرقة . فاللون وسحره هما من نعم الله عليه ، فهو الملون الذي لم يحقق .

وخلافاً لما اشاعه اعداء دهلاكروا عن اهماله التأليف والبناء ، فقد كان يشبع موضوعه درساً ، ورسماً وتلويناً ، بالزيت ، وبالباستل . وكان عندما تجتاحه الافكار ، تتراكم المخلوقات في دماغه الشائر فيوزعها على قماشته بسخاء روبنس ، وعمق رامبرانت ، وعظمة المصورين البندقيين وغناهم . فهو مصور وموسيقي ، اديب مولع بالشعر ، بالفلسفة ، بالتاريخ السياسي والديني . ولهذا ، ليست كل لوحة من لوحاته تحفة فنية فحسب ، بل هي ظاهرة ارادة وايمان ، تهز القلب والخيال ، وتحرك في النفس ما يحركه الشعر ، والموسيقى ، والفلسفة .

لم تشر حملات المدرسين ، ولم يجرم دهلاكروا المساعدات الرسمية ، فابتاعت الحكومة كل لوحاته الكبيرة ، وعهدت اليه بصنع لوحات تاريخية وحربية وترين قاعة الملك ، فاشتغل فيها خمس عشرة سنة . وبالرغم من هندسة البناء غير المؤاتية ، تمكن دهلاكروا من القيام بعمله بمهارة فائقة . وقبل الانتهاء من هذه المجموعة العظيمة ، رغب اليه وزير الداخلية تزيين قاعة مكتبة البرلمان في قصر البوربون ، التي قال عنها احد النقاد الالمان « انها كنيسة سكستين فرنسا » . اما رائعته الترينية فهي قاعة ابولون .

ان تزيين هذه القاعة كان قد عهد به الى « لوبرون » Le Brun

مصور لويس الرابع عشر المختار ، وهو الذي اراد ، تمجيداً لمولاه الملك الشمس ، ان يمثل انتصار ابولون في القسم الوسط ، وأعد للاقسام العشرة التالية مواضيع ملائمة . بيد أن سفره المعجل الى فرساي حال بينه وبين وضع التصاميم ، فنامت الفكرة نوماً طويلاً . وعندما عين شارل بلان مديراً للفنون الجميلة ، و اراد تنفيذ مشروع قاعة ابولون ، كلف ده لاكروا خلق التصاميم مشروطاً عليه أبولون موضوعاً اساسياً . فاختار الفنان « أبولون قاهر الافعى بيتون » مع المواضيع التالية : « ديانا ، مركور ، مينرفا ، هرقل ، فولكن ، بوره ، ايريس والوصيفات » .

يقول روبو Robault ان ده لاكروا اظهر عبقرية مزدوجة بالخلق والتحقيق ، فسقف قاعة ابولون من اكمل الاعمال الفنية التي تخلد مجده على مرور الاجيال ، ولكن « مكسيم ده كان » تمنى ان يرجع ده لاكروا الى الاشتغال في الادب الذي يحبه ، والى الموسيقى التي خلق بدون ريب لها . اما « جان روسو » فقد ذهب ابعد من ذلك ، وكتب مشيراً الى ظهور اعراض الخرف القاطعة على ده لاكروا .

ومما لا شك فيه ان الفوز العظيم الذي احرزه ده لاكروا بتزيين قاعة ابولون كان حدثاً عظيماً . وللمرة الاولى لاقت لوحات المعلم القديمة والحديثة غواة مشترين . وللمرة الاولى جاء

تجار الصور يطرقون باب محترفه . وبهذه المناسبة كتب ده لا كروا
 الى « مورو الاب » يقول : « انا لا افهم شيئاً من كل هذا ،
 فقد وضح للغواة الآن ان لوحاتي فتحت في دنيا التصوير فاقبلوا
 عليها بعد ان تجاهلوها مدة طويلة . »

ان صرخة الفوز المفاجيء الحلوة هذه ، اسمعنا اياها مرة اخرى
 على اثر بيع مجموعة من لوحاته ، كانت تملكها دوقة اورليان ،
 وقد بلغ ثمنها يومئذ واحداً وعشرين الف فرنك .

حياة ده لا كروا الخاصة

تشهد رسائل ده لا كروا الخاصة بمحافظته على علاقاته الودية مع جميع اصدقائه . ومن خلالها كوّن شارل بيغو فكرة واضحة عن اخلاق المعلم فكتب يقول : « ان ده لا كروا احتفظ بلهجة المتواضع مع جميع اصدقائه ، فهو لم يكلم من على البسط البورجوازيين ، بالرغم من الشهرة التي وصل اليها . وعرف ان يحافظ على روح البساطة في رسائله منذ كان تلميذاً في المدرسة ، غنياً بالامل ، الى ان صار اسمه في جميع الافواه . وهو لم يفكر يوماً انه صنع من طينة غير طينة الناس . ولم يتخيل ان من واجبات القدر ان يخلصه بميزات بخل بها على النكرات من البشر . ظل اصدقاؤه القدماء اصدقاء العمر ، وظل يأتيهم بيد مفتوحة ، قلبه عليها .

« لم تكن اخلاق ده لا كروا اقل عظمة من تصويره ، فهو مع

« ليست » من انبل النفوس الرومنطيقية .

تحدث « تين » الى سيد ايطالي عن دهلاكروا ، قال :
كانت يده ترتجف ، وكان يعبر عن احساسه بلطخ ملونة
فسموه الملوّن ، وما كان اللون قط سوى وسيلة ينفذ بها
الى لباب الانسان . لم يكن سعيداً كالبنديقيين ، ولم تكتحل
عيناه بمظاهر مغرية خلافة ، ولم تله الاجساد البضة الضحاكة ،
بل كان ينحدر الى اعماقنا ، فيراننا نحن ، كما نحن ، بغنانا
وسخائنا ، بشدتنا وبؤسنا . وكان يفتش في كل مكان عن
اسمى المآسي في بيرون ، ودنتي ، وتاس ، وشكسبير ، في
الشرق ، في اليونان ، وبيننا وحوالينا ، في الحلم ، وفي التاريخ ،
يستخلص العطف والياس والحنان . دائماً احساسيس ، مؤلمة او
مفرحة ، في الوانه البنفسجية الغريبة ، وفي غيومه النبذية
المشوشة بدخان فاحم ، في بحاره ، في سمواته المصفرة كبشرة
مريض محموم . في جلده الالهى المنور او سحبه السابجة كالحمام
الساوي في منتهى المجد ، في اشكاله النحيلة المستطيلة ونسائه
المرتعشات حياء ، واللواتي تضج فيهن عاصفة داخلية . في اجسامه
المتلوية او المنتصبة بالاختطاف او التشنج ، بمخلوقاته الجامدة
والحية — صورت كلها بحمية مرتجلة لا تعاند ، وبتآلف قوي مع
الطبيعة المحيطة بها . انها تنسينا اخطاءه فنشعر انه يكشف لنا

عالمًا جديدًا ، وانه لسان هذا العالم وعينه .

وكتب بول ماثر يحدد نبوغ ده لا كروا ، قال : كان ده لا كروا يرى لوحته قبل تصويرها ، فالتأليف ، واللون ، والنور ، وكل ما هو غلاف للفكر ، كانت تتراءى له في وقت معاً . وتألف الألوان كان بدء العمل ونهايته .

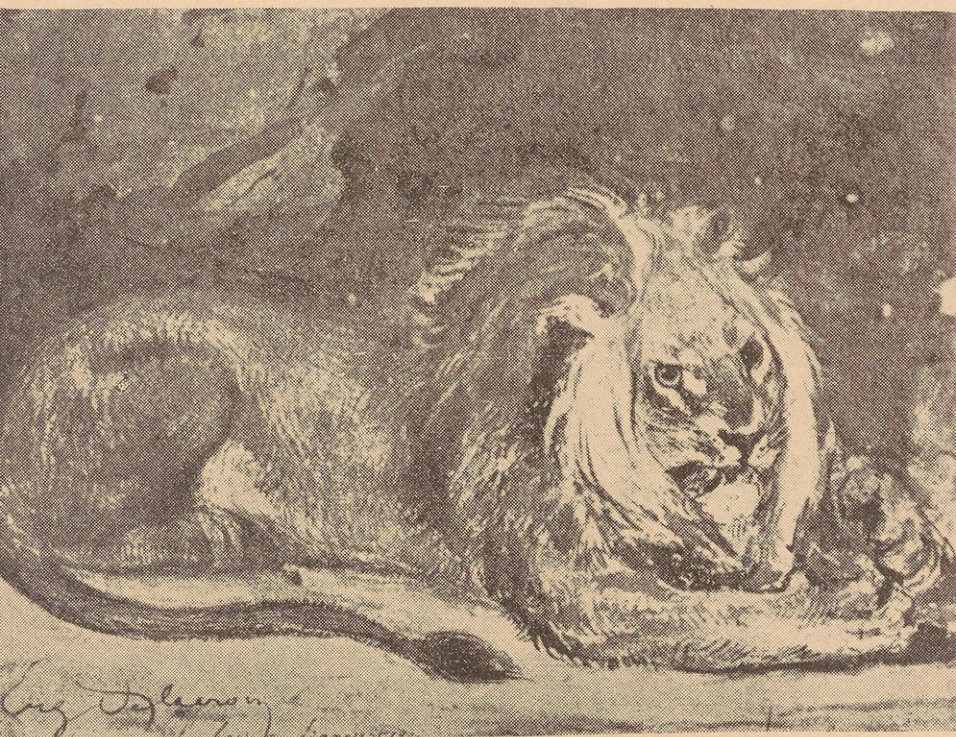
عاب عليه اناس ذوو طباع هادئة ، بعض الشذوذ في التأليف ، مع ضعف في الخطوط . فالفنان كانت تجتاحه الحمى فتز يده ، ويصاب بقلة الجلد وقت التحقيق . واعراض كهذه لا تبدو على مصورين ليس لهم ما يعبرون عنه ، فالعجز يعصمهم عن الخطأ ، وفقر تفكيرهم ضمانه . اما ده لا كروا فلم يتعرف الى هذا الهدوء الذي يُجسد عليه بعض الناس ، هدوء عامل يدهن باطمئنان مصراع باب ، فهو لم يلجم قريحته المهتاجة بشيء من الحذر . وعلى ذكر القريحة الهائجة اقول انني لم اؤمن مرة بما سموه المكنسة السكرى التي وضعها بعض النقاد بين انامله المرتجفة ، فاقلقتهم كما اقلقت بعض الهادئين من ذوي الدم البارد . فلده لا كروا عجائب تزيينية غريبة ، ارادها فرآها ، وصورها ، فلندرسه من خلالها ومن خلال لوحاته المنوعة ، حتى في اصغر التصاميم التي افلتتها قريحته الهائجة ، فزاه يهتم قبل كل شيء بالتعبير عن الفكرة ، ثم بالعاطفة التي يريد ابرازها بعنف مؤثر . ومن هنا

هذا الارتجاف ، وليس كما قالوا ان الالهام كان يأتيه فياضاً ،
وفي ساعة هوس كان يترك ريشته السكرى تركض حرة . ان
شيئاً من هذا لم يحدث ، ففي اشد ساعات الصراع مع الفكرة
كان ده لا كروا يخضع لسلطان العقل . فاذا اطال عضواً اكثر
من المؤلف ، او لوى جسداً بشدة متزايدة ، فلأنه بحاجة هنا الى
هذا الالتواء ، وهناك الى هذا الطول ، حتى يحصل في مجموع
الخطوط هذه اللحمة وهذا التآلف وهذا التوازن التي كانت
هدفه في الوانه . فلوحات ده لا كروا ملأى ، اريد ان اقول ان
تأليفه متشابكة بحيث لا ترى العين فيها فراغاً ، وان اشخاصه
المتحركة تخضع دائماً لشريعة معقولة ، ومشينة صريحة ، لانه
يرى الفعل في مجموع الصورة .

اما اللون وسحره فيها ملك لده لا كروا . فنذ نعومة اظفاره حلم
باللون باحساس فطري ، وشعر بحاجة ملحة لان يعاد الى المدرسة
الفرنسية المزينة التي فقدتها ، ووفق بالاضافة لمواهبه الطبيعية الى
معرفة في تنظيم الالوان هي نتيجة ملاحظات طويلة ، مرتكزة
على اسس متينة ، استحق لاجلها التقريظ الذي خص به « اندريا
دهلسارتو » الرسام الذي لا يخطئ . فيمكننا من ناحية اللون
وتألفه ان نلقب صاحب « عدل تراجان » بالملون الذي لا يخطئ .
وبعد ان ينوه بول مائر بتأثير جريكو ، وبوننتون ، وبعض

المصورين الانكليز على لوحات ده لا كروا الشاب ، يرى بحق ان افريقيا هي التي اعطته نهائياً غنى ألوانه المتعددة ، ونوع النور . ففي هذه الرحلة اللذيذة التي ذكرها طول العمر تعرف الى اشخاص ذوي خلق لطيف امثال النماذج التي اتخذها في نساء الجزائر ، وعرس اليهود ، ومولاي عبد الرحمن ، وعشرين من الروائع . هناك رأى الطبيعة المشتعلة والسموات الزرقاء الشاسعة . ولم يهمل في اللوحات ذات الالوان الصارخة ، الانعكاسات التي تلتطف من قوة اللون المحلي وتحفظ التوازن وتؤلف الموسيقى التي اراد . لم ينس نقاوة النهار الافريقي الذي عاش عدة شهور في جوه الدافئ الملوّن ، فنقل انواره الفاترة الى الداخل حيث يختبئ الظل السجين فيؤنس وحشته ، فيسمو ده لا كروا بهذا الى مستوى « رامبرانت » انبغ من عالج النور والظل .

ان الدروس التي تلقاها ده لا كروا من الطبيعة في رحلته الى مراکش والتي اختزنها قد ساعدته على تذويب الحقائق في شبه تأليف منور يغلفه الفكر ، وتشعله العاطفة . ولم يصور لوحة دون ان يضع فيها كل الصفات والخصائص التي نوّه بها « فروممتان » . تخيل ده لا كروا اللوحاته التي مثلها في الهواء الطلق ، نوعاً ناعماً من النور ، لطيفاً ، هو اشبه بنهار الجنات الوثنية ، فأخذ من الشرق الازرق السماوي القوي وظلاله الشاحبة ، وانصاف الظلال



اسد یفتوس ارنبا



ده لاکروا بوشه جورج صاند



جورج صاند بریشة ده لا کروا



ثمرة تداعب صغيرها



الشاعر « لوتاس » في مستشفى المجاذيب

امراة ينقض عليها نمر





انتحار اوفيليا معشوقة هملت



الشاعر لوتاس في سجنه

اللينة ، وكان يغدق احياناً على مظلة مفتوحة اشياء مثل قطع
كثيبة من الشمس ، ثقيلة الوطأة تلطفها انصاف الانوار الباردة ،
انوار « فيرونيز » الفضية .

ان ده لاكروا صنوا لـ « فيرونيز » صاحب « عرس قانا » .
وبينه وبين « تنتورتو » قرابة روحية ، فتنتورتو اول من جابه
علمياً ، الازرق العميق الغني مع البرتقالي المنير ، والاحمر البراق
مع الاخضر القوي . وعلى الجملة بعث ده لاكروا ما علمته
البندقية ، واهملته مدرسة دافيد .

كل شيء منظم في تلاوينه ، فالالوان تتنادى وتتجاذب ،
ويتلاعب بعضها مع البعض الآخر ، كل لون حسب قوته وضعفه
يستفز في الموضع اللازم وينكفي ، او يختبئ ، او يتحاشى لقاء
مفاجئاً ، فيحصل بهذا على نتيجة من اروع النتائج . ولا اعطي
على ذلك مثلاً واحداً ، فلوحاته امثال ناطقة ، كلها دروس وعبر .
وظلت تتتابع على صالون باريس سلسلة لوحات عبقرية ،
خالدة ، تهز اتباع الاكاديمية هزاً وتلقي على الملاء دروساً جديدة
في التفكير ، والخلق ، والتكوين ، والتلوين .

ليس في تاريخ الفن دماغ اخصب واكرم من دماغ ده لاكروا .
وقد يستحيل حصر كل ما خلف من الآثار . انما يستفاد من
احصاء لروبو Robault انه ترك تسعة آلاف ومائة واربعين قطعة ، منها
ده لاكروا

٨٥٣ لوحة زيتية ، و١٥٢٥ باستل ومائية ، و٦٦٢٩ رسماً ، و٢٤ قطعة محفورة على النحاس ، و١٠٩ ليتوغرافية ، وأكثر من ستين مجموعة رسم . وفي تاريخ الفنانين الاحياء ان التصاميم الجاهزة للعمل لا تكفيها حياة رجلين ، ومن التصاميم المتنوعة ما لا يكفي لانجازه اربعماية سنة . وكان ده لا كروا يقول انه سيموت كلباً ، كلما فكر ان الموت سيضع حداً لنشاطه ، ويحول بينه وبين اتمام هذه المجموعة الهائلة من التصاميم .

سأت صحته ، فسافر الى الريف ينشد الراحة . واصيب وهو مسافر بتزف رثوي ، اضطره للعودة الى باريس ، حيث مات الساعة السابعة من صباح الخميس ١٣ آب ١٨٦٣ ، فطوى الموت وجهاً من انبل الوجوه ودماعاً من اخصب الادمغة .

هذه حياة واحد من انبغ المصورين العصريين . ولعله الوحيد الذي يمكنه الصمود عند المقابلة بينه وبين اعظم المعلمين ، امثال تيسيان ، وتنتورتو ، وروبنس ، ورافايل ، ورامبرانت ، وفلاسكز ، وما لوانه الخرساء الخافتة القوية الجبارة وهذا الشفق الازلي الحالم ، الا روح الرومنطيقية .

كان ده لا كروا يفتح العيون على عوالم من الالوان فيسحرها : فهنا الوان عاصفة ، وهناك الالوان المهترئة التي انشدها بودلير وغناها ، وعرف ده لا كروا ان ينثرها في سماء عصر

سيطرت عليه احلام شوبنهاور ونيتشه ، مازجاً الطبيعة بآسي
الانسانية .

دفن في مقبرة «بيير لاشيز» وشيعه باسم الاكاديمية بول هويه ،
فقال عنه انه مفكر عميق ، ومصور ممتاز ، يحتل مكانته الى
جانب فيرونيز ورامبرانت ، بين غوت وبيرون ، مثل عصره وسيطر
عليه ، وسيظل مجداً من ايجاد فرنسا .

معلمون آخرون

وردت في سياق الكلام عن « دهلاكروا » أسماء فريق
من مشاهير المصورين والنقاد ، فرأيت ان اخصهم ببحث
مقتضب يلم بسيرهم ويميزانهم الفنية تكميلاً للفائدة .

رافائيل Raphaël . — اكثر المصورين شعبية . ولد في اوربين Urbain سنة ١٤٨٣ . تتلمذ على بيروجين Perugin . تمكن بذكائه ومرونته من ان يجمع الى شخصيته الناعمة ، فضائل اشهر الفنانين المعاصرين . استقدمه الى روما صديقه البناء برامانتي ، وقدمه الى البابا يوليوس الثاني ، فاضحى مصوره المختار والمدير الفني للمدينة الخالدة .

كان شاعراً ، نحّاتاً ، وبنّاءً . واصبح الابن الحبيب للبابوية وللكنيسة . هو خالق العذارى الجميلات الناعمت ، ومدرسة اثينا واخواتها عشرات الروائع . حياته سلسلة من المباهج . مات سنة ١٥٢٠ ، فحزنت عليه اوروبا ومشت روما باكية وراء نعشه .

ميكل انج Michel - Ange . — اكبر نحّاتي عصر الانبعاث . ولد في فلورنسا سنة ١٤٧٥ . تتلمذ على غيرلندايو ، واتخذ روما مقراً له ، فجعلها محور الفن الايطالي في القرن السادس عشر . اعطى الفن نماذج من المخلوقات جديدة ، تبناها الفنانون الشباب شريعة لهم . شاعر ، نحّات ، بنّاء ، ومصور ، لكنه مصور

لا كالمصورين ، ما رأى اللون المحلى وما اكثرث للانوار والظلال المستوحاة من الطبيعة ، بل خلق تماثيل ، وجدل عضلاتها جدلاً ، ووزعها كما شئت عبقريته . لم يثر اهتمامه شيء سوى الانسان ، الانسان الذي حلم به ، الجبار الذي تمخضت به مخيلته الجبارة واثبتته يده في قبة كنيسة سكستين . انه لواحد من اكبر رجال الفن في كل العصور .

مات سنة ١٥٦٤ .

تيسيان Titien . — رئيس المدرسة البندقية . ولد سنة ١٤٧٧ . درس على جيورجيويني وساعده في عمله . ورث عنه اللون الغني وفاقه بغزارة الانتاج . ظل يتوغل في الفن بقدر اغياله في السنين . اشتهر بلوحاته الميثولوجية ، وامتاز بالتعمق في نفسية الاشخاص ، فصوره عن القناع البشري صفحات من التاريخ . رجاله ونساؤه مزيج غريب من جميع ألوان البشر ، مصهور بيد عبقرية ، تضيئه انوار داخلية ، فتفر منه الظلال وتختبئ وراءه .

مات حوالي سنة ١٥٧٦ .

اندرى داسارنو Del Sarto . — ولد سنة ١٤٨٦ . تتلمذ على برتولوميو Bartoloméو ، وتأثر بليوناردو ده فنشي «خالق الجوكونده» وميكل انج . تتميز لوحاته بدقة الرسم وبالوان صافية وبراعة

في التأليف . اسمه في تاريخ الفن صنو لأسماء كبار المعلمين .
اثارت لوحته « العشاء السري » اعجاب الفنانين بالرغم من ظهورها
الى النور بعد لوحة دهفنشي .

مات سنة ١٥٣١ .

فيرونيز Veronese . — ولد في فيرون سنة ١٥٢٨ من
عائلة عريقة في التصوير . عرف ان يصور بذخ البندقية وسحرها ،
والوجوه الشقر المزدانة بالحلى والجواهر ، والعقود ، تحت انوار
فضية ، نقية ، شفافة . ويجمع الجواهر ويمررها بين الغنيج والغنى
تتألف الوانها وتتلاحم بسهولة وروعة وسخاء .

مات سنة ١٥٨٨ .

روبنس Rubens . — ولد سنة ١٥٧٧ . درس في انفرس . ثم
سافر الى ايطاليا ومكث فيها ثماني سنوات . زار البندقية ، ومانتو ،
وروما ، وجنوى . ثم رجع الى انفرس سنة ١٦٠٩ واسس محترفه
فيها ، وبدأ مزاوله فنه طائراً من فوز الى فوز . فهو واحد من
اشهر مصوري العالم ، واشهرهم في زمانه على الاطلاق . هو
السفير الموفد فوق العادة ، مصور الملوك وصدقيهم . غني
بالعقل والجمال والمال . يعمل تحت امرته جيش من المصورين . لم
يعرف التاريخ خلافاً اسخى منه ، وراحة على بساطتها اغنى من
راحته . فاليه ينتمي كل الملونين في العالم الحديث ومن خيراته

يغرفون .

مات سنة ١٦٤٠ .

رامبرانت Rembrandt . — ولد سنة ١٦٠٦ في ليد . ولما شب سافر الى امستردام واستقر فيها . مشى نبوغه مشية منتظمة ، فلم يتأثر بأي مدرسة من المدارس المتعددة المنتشرة في اوروبا . تدرج في الظلال من الاسود العميق الى اسطع الانوار . ولوحاته بمجموعها نيرة شفافة . وهو مثل ميكل انج ، خلق جسارة يأثمرون امره ويخضعون لتحكيم نبوغه ، وخلق لهم نوراً معقولاً دون ان يكون حقيقياً ، هو نور من ذهب سائل تسبح الطبيعة فيه وتستحجم ، لم يعط واحد من المصورين ما اعطيه من معرفة باشعاع الابيض على الاسود .

مات سنة ١٦٦٩ .

وانو Watteau . — المعلم الاكبر للمدرسة اللطيفة المحبوبة . ولد سنة ١٦٨٤ في مدينة فلانسيين Valenciennes وفتح عينيه فيها على لوحات لروبنس ، فتملكته الوانها الغنية الشفافة . وعندما ام باريس ، شاهد في قصر لوكسمبورغ لوحات معلم انفرس ، وتعرف الى المصور جيئلو الخفيف الروح . ومن هذين الاثنين استوحى طريق المستقبل ، ولكن الروح الشعري الناعم الذي كان ينعكس على لوحاته ، والمسحة الرشيقة التي كان يخصصها بها ، هما من مميزات فنه الفريدة .

اتهمه بعض نقاد عصره بخفته السطحية ورؤيته العالم على مسرح اوبرا .

مات في باريس سنة ١٧٢١ .

دافيد David . — ولد في باريس سنة ١٧٤٨ . تتلمذ على فيان Vien ، متبعاً نصيحة المصور بوشه صديق العائلة . نال جائزة روما سنة ١٧٧٤ . فسافر اليها دارساً وانتمى الى جمعية علمية ثقافية . ثم انتقل الى نابولي حيث انصب على درس الروائع التي كشفتها حفريات هر كولانوم وبومباي ، فتولد في نفسه بغض للتصوير العصري او التصوير الرائج . ثم اعتنق المبادئ الثورية ودخل في الكونفانسيون . وبالسلطين السياسية والفنية تمكن من توجيه فن عصره وسيطر على الفن الفرنسي في القرن التاسع عشر ، ووجه المدرسة الفرنسية توجيهاً جديداً بتصويره الموضوع من خلال الجمال اليوناني مع مسحة ثقافية .

تدنت طريقته بعد موته بواسطة تلاميذه الى الطريقة الاكاديمية الباردة الجافة .

مات في بروكسل سنة ١٨٢٥ .

جيرود Girodet . — ولد في مونتارجيس Montargis سنة ١٧٦٧ . تلميذ دافيد . نال جائزة روما سنة ١٧٨٩ . ترك روما مرغماً بسبب تدابير سياسية ضد الفرنسيين ، فر على

نابولي وجنوى قبل رجوعه الى فرنسا . حصل على جائزة التصوير التاريخي بلوحته « الطوفان » التي زاحمت لوحة استاذہ دافيد Les Sabines . فـكـر مـثـقـف ، احب الشعر وجرب ان يجمع بين المذهبين الدافيدي والرومنطقي فلم يفلح .

مات سنة ١٨٢٤ .

انـغـر Ingres . — زعيم المدرسة التي تنتسب اليه . ولد في مونتوبان سنة ١٧٨٠ من اب نحات وبناء وموسيقي ومصور . سافر الى باريس ، ودخل محترف دافيد . نال جائزة روما . تأثر بـرافـايـل .

ان اجمل الآثار التي خلفها انـغـر هي صور الاشخاص المصنوعة بقلم رصاصي . عاش بين روما وباريس . سمي مديراً للاكاديمية الفرنسية في روما . سحرته الخطوط بدقائنها ومعانيها ، فاهمل اللون .

مات في باريس سنة ١٨٦٧ .

شارـدن Chardin . — ولد سنة ١٦٩٩ . ابرز مزاياه رؤية الاشياء تحت ضوء طبيعي بعين صافية ومادة سخية واحساس شعري عميق . وهو القائل : طاولة مطبخ ، وتفاحة ، لا شيء سوى تفاحة وروح ترفرف حولها ، وهذا كل شيء .

البارون جـيرار Baron Gérard . — ولد في روما سنة ١٧٧٠ .

هبط باريس وهو في الثانية عشرة من سنه . مرّ على مصورين اثنين قبل دخوله محترف دافيد . استرعت لوحاته في الصالون انظار العائلة المالكة ونبهتها الى موهبته الارستوقراطية ، فاصطفته مصوراً خاصاً لها وجميع الاشراف .

هو واحد من انبل المصورين الذين انجبتهم مدرسة دافيد ، واغناهم الواناً .

مات في باريس سنة ١٨٣٧ .

البارون غرو Baron Gros . — ولد في باريس سنة ١٧٧١ .

دخل محترف دافيد وهو في الرابعة عشرة . لم ينجح في المسابقة لجائزة روما ، ولكنه سافر الى ايطاليا ، ماراً بفلورنسا وجنوى حيث تعرّف الى جوزفين بوناپرت ، فوضعت تحت رعايتها وقدمته الى زوجها الجنرال الذي قاده مع جيوشه الى الخلود .

ملهم المدرسة الرومنطيقية ، واشد المدافعين عن مدرسة دافيد . انتقد انتقاداً لا ذعاً دفعه الى اليأس فالانتحار .

طبيعة جبارة حرمت من ارادة قوية لتسييرها . مجدد دون ان يدري . كتب اجمل صفحات الملاحم النابوليونية واروعها ، ووضع اسس اللوحات الحربية الحديثة . شق الطريق وعبدها امام جريكو ووده لاكروا .

مات سنة ١٨٣٥ .

جريكو Gericault . — فنان مشتعل الاحساس ، عميق التفكير ، قوي الرسم . ولد في روان سنة ١٧٩١ . درس على كارل فرنه وغيران . سافر الى ايطاليا سنة ١٨١٧ . درس التماثيل اليونانية . تتلمذ على روائع ميكل انج . وعند رجوعه الى باريس صور لوحته « خشبة المادوز » فجاءت نموذجاً صارخاً لجرأته في الرسم ، وكانت حجر الزاوية في بناء الفن الرومنطقي . سافر الى انكلترا مسحوراً بالوان المدرسة الانكليزية والطريقة المائية . لاقت لوحاته من كل نوع اعجاباً عظيماً . خيال ماهر .

مات في باريس متأثراً بسقطة عن جواده سنة ١٨٢٤ .

بول هوي Paul Huet . — ولد في باريس سنة ١٨٠٤ . مر

مروراً سريعاً على محترفات بولي Paulis وغير ان وغرو ، فانتهى الى الطبيعة معلمه الاكبر .

غني الالوان ، شاعر . عرض في صالون باريس لوحات اثارت اعجاب كبار الفنانين بغنى مادتها . هو واحد من مؤسسي المدرسة الحديثة لتصوير المناظر الطبيعية Paysages .

مات في باريس سنة ١٨٦٩ .

ماريل Marilhat . — ولد في فرتيزون Vertaizon سنة

١٨١١ . هبط باريس ومرّ على محترف روكلان Roqueplan . وتعرف في الصالون الى بارون ألماني فاغراه بالسفر وياه الى الشرق ،

فراقه ماراً باليونان ولبنان وسوريا وفلسطين ومصر حيث اقام
مدة صور في خلالها محمد علي باشا . ثم ساءت صحته فرجع الى
باريس على ظهر الباخرة التي حملت المسلة التاريخية L'obélisque
فحملت عيناه الى الغرب انوار الشرق ونعومة هوائه .

مات في فرتيزون سنة ١٨٤٧ .

شاسبريو Chassériau . — ولد سنة ١٨٢٦ في ساماما Samama

بورتوريكا من اب فرنسي وام وطنية Créole . دخل محترف انغر
في العاشرة من عمره ، فاصبح من اصدقائه ، وآمن انغر بمواهبه
ايماناً كاملاً وفاخر به معترفاً اذ كان في كل مناسبة يردد ان
شاسبريو هو نابوايون التصوير . سافر الى روما بعد تعيين استاذ
مديراً لا كادييتها ، ولكنها لم يتفاهما هناك طويلاً : اراد شاسبريو
ان يوفق بين رسم انغر والوان ده لاكروا فحقد عليه معلمه .
ترك روما ورجع الى باريس حيث تعرف الى خليفة قسطنطين
Califé de Constantin فاعراه هذا بالسفر الى الجزائر ، وهناك
عاوده حنينه الاول ، فحقق لوحات غنية اللون قوية الرسم ، فيها
كثير من حلمه المرجى ، ولوحات تزيينية وافرة الجمال .

مات في باريس سنة ١٨٥٦ .

فرومنتان Fromentin . — ولد في لاروشل La Rochelle سنة

١٨٢٠ وسافر شاباً الى الجزائر ، فالتقط كثيراً من التأثيرات

مخطوطة ومرسومة . لوحاته ناعمة الالوان ، صافية الانسجام . له
في عالم الادب منزلة جد محترمة . فأدبه يزخر بالحياة الملونة ،
وينم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة .

مات في لاروشل سنة ١٨٧٦ .

ليست Liszt . — ولد سنة ١٨١١ في المجر . موسيقي .
مؤلف رومنتيقي النزعة ، مشتعل العاطفة ، قوي الاحساس ،
غريب الاطوار والنظريات ، ذو حيوية فياضة ولباقة في العزف
لا تجارى .

مات سنة ١٨٨٦ .

ادوار مانه Manet . — ولد في باريس سنة ١٨٣٢ . مر على محترف
توماس كوتور Couture . ثار على الطريقة المتبعة في التعليم واعلن
انه يريد ان يصور كما يرى هو لا مثلما يرى الناس . سافر الى هولندا
حيث تعرف الى لوحات فرنزهاس واولع بها كثيراً . ثم تنقل بين
المانيا وايطاليا واسبانيا حيث درس فلاسكز ، واستدل غويا
على طريقه . رفضت لوحاته في الصالون مراراً . ولكنه تابع
اسلوبه الخاص الذي قاده الى الخلود ، وشق به الطريق الى
التأثرين . فاستحق من بودلير لقب مطهر التصوير .

مات سنة ١٨٨٣ .

بونفتون Bonington . — ولد سنة ١٨٠١ . مصور انكليزي

حساس . درس وعاش في باريس . تتلمذ على غرو ، وتعرّف الى ده لاكروا وجريكو . هو واحد من الاوائل الذين اقدموا على التصوير في الهواء الطلق . تتميز لوحاته بسموات غائمة ، ومائياته بالوان غنية شفافة .

مات سنة ١٨٢٨ .

رودان Rodin . — ولد سنة ١٨٤٠ . اكبر النحاتين بعد ميكل انج ، وواحد من مفاخر فرنسا . سافر الى بلجيكا ثم الى ايطاليا فدرس دوناتلو وميكل انج ورجع الى باريس ماراً بفرنسا الشمالية ، دارساً كنائسها القوطية . ثم استقر في باريس بحبي الرخام والبرونز غائصاً الى اعماق المآسي الانسانية ، ومنشداً ارفع اناشيد الحب .

مات في ميدون سنة ١٩١٧ .

غيوم Guillomet . — مصور فرنسي ، ولد في باريس سنة ١٨٤٠ . سافر الى الجزائر فخلبه نورها وترك للفن الفرنسي تحفاً كلها اناشيد من النور الملون الغني ، ودروساً قيمة عن نفسية الانسان الافريقي وسمواته الزرقاء القاسية .

مات سنة ١٨٨٧ .

بيزار A. Besnard . — ولد في باريس سنة ١٨٤٩ . نال

جائزة روما سنة ١٨٧٤ . سافر الى لوندرا ، ثم الى الهند ورجع

منها الى باريس حاملاً لوحاته الرائعة « الهند بلون النار » . مدير
الأكاديمية الفرنسية في روما . كاتب جذاب احرز احترام
المدرسين والناشرين على السواء . عضو أكاديمية الفنون الجميلة ،
والأكاديمية الفرنسية . حامل وسام جوقة الشرف برتبة ضابط
كبير ، مدير مدرسة الفنون الجميلة في باريس .

مات سنة ١٩٣٤ .

تين Taine . — فيلسوف ومؤرخ وناقد . جرب ان يطبق
نظرية العلوم الطبيعية على مختلف نتاج الفكر البشري . ولد في
فوزيه Vouziers سنة ١٨٢٨ ومات فيها سنة ١٨٩٣ .

بول مانز Mantz . — ناقد فني مرهف الحس واسع الثقافة .
ولد في بوردو سنة ١٨٢١ .

مات سنة ١٨٩٥ .

الفهرست

الصفحة

٥	توطئة
٩	عصر ده لاكروا
١٧	مأساة ده لاكروا
٢١	اوجين ده لاكروا
٢٧	مذابح كيو
٢٨	لوحة محرقة سردنبال
٣٠	موت شارل الجسور
٣١	الحرية تقود الشعوب
٣١	اسقف لياج
٣٢	دخول الصليبيين الى القسطنطينية
٣٦	عراك الباشا والياور
٣٨	القديس سباستيان
٣٩	يسوع في بستان الزيتون
٣٩	المسيح في حضن امه
٤٠	صراع يعقوب والملك
٤٤	حياة ده لاكروا الخاصة
٥٣	معلمون آخرون
٥٤	رافايل
٥٤	ميكل انج
٥٥	تيسيان
٥٥	اندريا دلسارتو
٥٦	فيرونيز

٥٦	روبنس
٥٧	رامبرانت
٥٧	واتو
٥٨	دافيد
٥٨	جیروده
٥٩	انغر
٥٩	شاردان
٥٩	البارون جيرار
٦٠	البارون غرو
٦١	جريكو
٦١	بول هويه
٦١	ماريلا
٦٢	شاسيرويو
٦٢	فرومنتان
٦٣	ليست
٦٣	ادوار مانه
٦٣	بوننتون
٦٤	رودان
٦٤	غيومه
٦٤	بينار
٦٥	تين
٦٥	بول مانز

انتهى طبع هذا الكتاب
على مطابع الاتحاد - بيروت
في ٢٧ شباط ١٩٤٦

نَشُورَاتُ « دَارِ الْمَجْشُوفِ »

الاعدام	: خليل تقي الدين	عمر افندي	: لطفي حيدر
خواطر ساذج	: » »	محاولات في فهم الادب	: » »
الرغيف	: توفيق يوسف عواد	ليلة القدر	: احمد مكي
كان ما كان	: ميخائيل نعيمة	النداء البعيد	: » »
على المنبر	: نقولا فياض	مواعيد	: صلاح لبكي
الباب المرصود	: عمر فاخوري	العراق بين انقلابين	: عبد الفتاح اليافي
روابط الفكر والروح	: الياس ابوشبكه	الفصول الاربعة	: عمر فاخوري
وهل يخفى القمر	: رثيف خوري	نداء القلب	: الياس ابوشبكه
الفكر العربي الحديث	: » »	الاحان	: » »
الوعي القومي	: قسطنطين زريق	معالم الوعي القومي	: رثيف خوري
معارك العرب	: بطرس البستاني	مجوسي في الجنة	: رثيف خوري
الشعراء الفرسان	: » »	نداء المجهول	: محمود تيمور
نحن في افريقية	: كامل مروه	حورية البحر	: » »
نقد الشعر	: نسيب عازار	الخاتم السحري	: محمد كزما وهاشم الامين
الاغوار	: احمد الصافي الذجفي	الفوضى العالمية	: الاب يوحنا مارون
الدراسة الادبية	: رثيف خوري	في قصور الملوك	: قدري قلمجي
تاريخ جرح	: فؤاد الشائب	اساطير الامم	: » »
اساطير شرقية	: كرم البستاني	المجتمع الافضل	: اندره فيكتور
اديب في السوق	: عمر فاخوري	فرنسا المحاربة	: اندره موريز
الحقيقة اللبنانية	: » »	نحو الجيش المحترف	: شارل ديغول
الى الابد	: الياس ابوشبكه	تلك آثارنا	: جان رونسان
وجوه وحكايات	: مارون عبود	البرلمان الامثل	: رشدي لمعلوف
زوبعة الدهور	: » »	في قصور الخلفاء	: صلاح الدين المنجد
من اعماق الجبل	: صلاح لبكي	الاستراتيجية العملية	: ابراهيم حداد
الرؤوس	: مارون عبود	لبنان في العالم	: جورج معنق
آفاق	: سليم حيدر	قصر الخير الغربي	: دانيال شلومبرجه

DATE DUE

LIBRARY

A.U. LIBRARY

759.4:D332jA:c.1

الجميل، فيصير

ده لاكروا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01028882

759.4
D332jA

